رواية
معجزة الحب
الكاتبة
رفيف أحمد ياقدي

يحيي

ينظر إلى المستقبل على أنه ذلك الوحش الذي ينتظره لينهش حياته ، لم ير بطريقه سوى سوادا كالحا جعله يتخبط بلا هدى ،عندما سلب لذة الحياة بموت أبيه وأمه، كان تائها في دنياه ينتظر أن تمضي أيامه به إلى حيث لا يدري، يعمل ليجني قوت يومه فقط، لم يرجو من دنيا بخلت عليه حتى بابتسامته شيئا إلى أن عاش برتابة قتلت روحه ومزقت كيانه ، جعلت كل من يعرفه يتسائل عن آخر مرة ابتسم فيها هذا الشاب الذي يخطف أنظار كل من تلمحه عيناه ، فقد كان ذو عتمة من الداخل يشع نورا من الخارج، لكن عندما أنعش قلبه بصعقات عينيها أصبحت تربطه بأوصال عشق في دنيا بائسة وأصبح يرى بصيص أمل في ظلام طريقه، ومع وجود تلك الفاتنة بدت ملامح البسمة تظهر جمال القمر. يوم ميلاده كان يوم خطبتهما فبذلك اليوم ربطت بسمته بنظرة عينيها وكلما نظر إليها كان يحلق بسماءهما ويسرح شاردآ بنقاء تلك السماء الصافية بنهار مشرق

ضاحك وهي تبادله الشرود بورقتي الزهر الخضراوتين.
عندما دخلت حياته لم ينتظر لعل أموره تنفرج حتى قرر إستنشاق هواء وطن آخر، فقد أيقن أنه لن يجني إلا لقاءات معها ولن يستطيع أن يجعلها مصدر إنارة حياته فلم يكن كسبه يسمح له بأن يشاركه أحد بحياته ، وهو يحلم أن يسكنها بقصر كالملكات تتربع على عرشه وتخدمها الجواري .

ففارق روحه في سبيل ذلك لعله يبتدئ معها حياة وردية، فمن أول لحظة ارتبطت بها قلوبهما كان دائما يرافقه شعور يذله وينتقص منه ويقول له بأنه لا يستحقها ويجب لذلك الوجه أن يعيش بترف ورخاء.
مرت ثلاث سنين أحرقت أيامه بلهيب الشوق، لكنه ألجم نيران قلبه حتى يعود إليها ويختار السجن الذهبي لتضع لمسات الجمال بصمات عليه تزيد من روعته، وقد كان كل تلك المدة يحادثها عن مستقبل حياتهما سوياً يخططان ما سيعيشانه معآ إلى أن وصل بهما الحال أن عاشا المستقبل بحاضرهما فامتزجت أرواحهما كما يمتزج الدم بالقلب فزاد من عشقه لها وتعلقه بها ، إلى أن عاد الذي لم يفارقه لحظة بل كان يستتر خلف أحلامه الوردية يراقبه ليعود إليه رويدا رويدا. لقد تسرب اليأس والتشاؤم من بيت تلك الأحلام ليظهر له ويفاجئه بغضب قائلا له: أن توقف عما تعيشه وعد لرشدك؛ أراد الرجوع بخيبة وشوق لم ينطفئ يوما فحاول رثاء نفسه بأن عينيه ستروي ظمأ الشوق لعشقه الأبدي فالتقطت يده هاتفه النقال فخابرها وما إن رن هاتفها الرنة الثانية حتى ردت بشوق عاشقة ولهانة، وما إن فاجأها أنه سيعود إليها بأقرب وقت، حتى أجابته

وقلبها يتمايل على أنغام صوته
:

أتعني أنك انتهيت من جمع النقود التي نحتاجها وسنتزوج بعد ذلك العناء؟!
رد بكلمات جعلت كيانها يتصارع مع روحها:
-لا، لكن سأجد عملاً يساعدني لنتزوج بسرعة.
فأنهت اتصاله بكلمة واحدة: - إلى اللقاء.

بعد أن مضت أياماً لم يحصها وهو يحاول الاتصال بها مراراً بدون أن تجب،شعر أن الألم يعتصر فؤاده لأن قلبها تألم بسببه ، فلم يجد أمامه إلا حلا وحيداً لمحادثتها، فاتجهت أنامله لرقم والدها لعله يصيب عصفورين بحجر واحد وبعد أن تبادلا التحية سأله والدها عن موعد عودته ، ليفرحهم بزواجه من ابنتهم التي خططت لمراسم الزفاف ثاني يوم من سفره، فانقبض قلبه قلقا عليها لأنها ابتلعت خبرعودته أياماً مما يعني أن الحزن سيطر على
فؤادها.

و بعد الصمت برهة تنهد، ثم أخبره أنه سيعود بوقت قريب ، وطلب منه أن يعطيها الهاتف كونها لا تجيب على اتصالاته.
فنادى على ابنته بعد أن تنهد وانفرجت أساريره ،لكن ضربات قلبها تسارعت
خفقآ لأنها لا تعلم ماذا عليها أن تجبه ، فلم تجد مبرراً سوى أنها مشغولة وستعاود الاتصال به لاحقاً. وما إن نقل له ردها حتى طلب منه يحيى بصوت يتوسل ألا يدعها قبل أن تكلمه. شعرأبيها بالشفقة عليه لأنه متلهف لسماع صوتها واللامبالاة واضحة عليها ؛ أيعقل أنها لم تعد تحبه؟! هل الفراق أخمد نار الحب بقلبها؟ !داهمت تلك الأسئلة عقله فطرق الباب عليها منتظرا أن تأذن له بالدخول.
دخل وعيناه وقعتا على يدها فشعر أن تخميناته قد أصابت ثم جلس صامتاً يراقب شرودها في الأرض وهي لم تنتبه لمن دخل غرفتها فقد كانت تمسك هاتفها بإصبعين وتعذبه وهي تقذف به بحركات دائرية وتضرب قدمها أرضاً بضربات ناعمة تنم عن تردد وحيرة؛ أتكلم حب حياتها أم تتركه ملتاعا كما لوعها قلقا؟ فقاطع أباها شرودها قائلا:
-هل انتهى حبك ليحيى؟!

ردت بدهشة وتعجب:

-أبي؟! لا، لم تسأل هذا السؤال؟!
-لأنك مترددة أن تكلميه.
لم تجرؤ أن تخبره بما قاله لها خشية أن يقلق عليها ، فطمأنته بإجابة حاولت من خلالها إخفاء حزنها ، بأن حركات البنات لابد منها كي تزيده شوقاً لها.
ضحك لتفكير ابنته كباقي فتيات جيلها ،ولم يخرج إلا عندما تأكد أنها أرسلت له رسالة تسأله فيها عن صحته وما إن وصلت له حتى دق قلبه طبول الفرح وأوشك على القفز فاتصل بها كي يروي ظمأ شوقه من صوتها وما إن قال لها: - اشتقت لصوتك. حتى انفجرت بكلمات تطايرت كشظايا حارقة:
-لقد أصابتك الغربة ببرود الأعصاب حتى تخبرني أنك ستعود بلا نقود ؟! أنا لم أعد أطيق انتظارك ، أريد الزواج والاستقلال بذاتي ، ولأنك لن تحقق مبتغاي بأقرب وقت فلم أعد أريدك .
كانت آخر ثلاث كلمات كفيلة بإحراق قلبه، فأصابه الجمود ولم يستطع النطق بحرف واحد ،ثم تخيل لبرهة حياته بدونها كما كانت سوداء كالحة تتحكم التعاسة بأيامه فأجابها بغصة حاول من خلالها ألا يبكي لكن صوته خانه فقد كسر كطفل تركته أمه ورحلت بعيدا:-

ستتركيني ، ستتركيني؟!
أجيبي!

صمتت للحظات ،مما جعله يشهق باكياً فكان صوته المخنوق كفيلاً بتمزيق فؤادها لردها القاسي عليه ، فحاولت مداواة جرحه باعتذارها منه لكنه أصبح أصما عن صوتها للحظات وهو يبكي بصمت؛ وبمجرد أن أخبرته أنها لن تتركه شفي جرحه تماما ومسح الدموع التي أحرقت وجنتيه بكلامها:

-يا نبض فؤادي لم أوفق بالعمل هنا، ولن أضيع سنينا أكثر بل سأعود ،وبأقرب وقت ستكون الأمور على مايرام.

أصابت تلك الكلمات لسانها بالشلل ،أما هو فتنهد وكأن ثقل جبل أزيح عن قلبه .وكما عقل أي إنسان لا يتقبل أن يخبره أحد بشروق الشمس في الليل كان ذلك عقله بفكرة أن يحصل بينهما فراق. " فهل سيجمع الحب قلبيهما إلى أن تفارق الروح جسديهما أم سيكونان كالسماء والأرض يتقابلان من بعيد ولكن لا يلتقيان بعناق يذيب المسافات".

عادل

لم يكن يكترث لعائلته والمنزل بالنسبة له فندق وهو نزيل فيه وقت نومه فقط ، فقد كان جل اهتمامه أماكن اللهو والتسلية والأصحاب ، فيمضي أيامه في المطاعم والمقاهي مع أصحابه الذين احتضنتهم بمولدهم حياة زاهرة وانتظرهم مستقبل ذهبي ،كانوا يحاوطونه مرتدين أقنعة تخفي حقيقة وجوه الثعالب مستغلين غروره ولم يأبه قط لصدق مشاعرهم ،فسفاهته بصرف أمواله وتفاخره بأنه سيد الكرم تشغل تركيزه؛ فيسعون دائما إلى إرضاء غروره برغم عدم احتياجهم النقود لكن تعجرفه بأن وضع أبيه المادي أعلى، واستغلاله ذلك بتذكيرهم بأي موقف كان جعلهم عطشى بأن يغذوا أنفسهم دائما من نبع نقوده.
استيقظ متأخراً كالمعتاد على صوت المنبه ورفع يده بتثاقل لإغلاقه، ثم نهض من سريره كسلحفاة تناضل ليصل إلى صنبور المياه، يغسل وجهه ، ويتجه إلى المطبخ لتحضير فنجان من القهوة لعله يوقظ عقله النائم، كانت أمه تحضر الغداء فقالت له والبسمة تغمر وجهها:

-يا ضوء عيني لا تتعب نفسك فأختك ستحضر القهوة لك.
أجابها بعقل تائه يرجوه بالعودة إلى النوم:
-نعم؟!صحيح ماذا افعل!؟ أريد القهوة أسرعي بسرعة
فردت أخته سلمى بكلمات اشتعلت غيظا لم تستطع إلجامه:
-قل لو سمحت فأنا أختك ولست خادمتك.

أنهى قهوته مع إنتهاء أمه من تحضير الطعام وتناول طبقه مع إصرارها على إنهاءه وتناول آخر فرد بتثاقل:

-ليس لي رغبة في الطعام فعقلي لا زال نائما

فقالت سلمى بصوت ساخر:

-معك حق فالعمل جعلك تسهر كل الليل سأعد لك فنجانا آخر

فرد بلا مبالاة أو انتباه:- لا أريد.

فكادت أصابعها أن تستغيث من عزم قبضة يدها محاولة أن تمنع صوتها من الصراخ:

-ألا تميز العزومة من الاستهزاء؟!

أشعلت نارغضب أمها فردت قائلة:

-كلمي أخيك باحترام لأنه أكبر منك

فأطلقت كلماتها كطلقات نارية:

-ليس لأنه أكبر مني ، بل لأنه وحيدك على فتاتين وقفزت من الكرسي كغزالة مسرعة لغرفتها، فنظر لها بطرف عينه متعجباً من غضبها، ثم صعد لغرفته بعد أن أجبر عقله على النهوض لكي يهيئ نفسه لمقابلة أصحابه ، فاستفاق دماغه لكي يظهره بأبهى حلة، ثم استعدت مرآته التي سئمت منه لمقابلته، فما إن يقف أمامها حتى ينسى الوقت وهو يجرب ارتداء ملابس تليق مع المناسبة والمكان ، وإلى أن تصرخ خصلات

شعره من تغييره المتواصل لمظهرهم ، ولا ينسى أبداً أن يستحم بزجاجة العطر حتى يضمن أن ينتشر جيش رذاذها ويحاوطه بمكان تواجده. ما إن انتهى حتى استقل سيارته كالمعتاد وقال في قرارة نفسه متعجباً بعد أن شعر برغبة في العمل:

-يحلم كل شاب أن يعيش مثلي فلم أتعب نفسي بالعمل بل سأعمل لإسعادي.

وصل لمنزل واحد من أصحاب اللهو كان يقيم حفلة صغيرة للتسلية كما اعتادوا من بعضهم ، فدخل عادل وهو يوزع ابتسامات هنا وهناك متعالياً عن مصافحة أحدهم ، ثم جلس متصدراً الأماكن ، وضع قدما فوق الأخرى ، ورفع رأسه يدندن الموسيقى إلى أن جلس صديقه بجانبه قائلاً بابتسامة ثعلب:

-أنظر إلى هذه الجوهرة

نظر لما بيده ورفع رأسه باشمئزاز: -ما هذا؟!

-ألا تحب أن تسعد نفسك؟هذه ستجعلك في عالم آخر

رمقه بلا اهتمام وبنظرة احتقار:

-لا تعرض هذه الأشياء مرة أخرى أمامي ، فهي لا تروقني.

ثم أدار رأسه في الاتجاه الأخر ولم يرغب صديقه في التكلم أكثر كيلا يصيبه بالنفور منه فاكتفى بالصمت بعد أن قال له:

-كما تشاء.

لكن أسلوب عادل بالحديث معه جعل نيران الحقد تزداد لهيبا، ويكبر الثعلب الذي بداخله ليزداد مكرا ، لكن عادل لم يجد بداخله ما يدفعه لفعل أمر كهذا ، حتى لو امتلك نقودا تخوله لفعل ما يحلو له ، لكنه كان على يقين إن خطى هذه الخطوة إلى الأمام من الصعب أن

يتراجع وتنزلق قدمه إلى الخلف ، فلن يسمح لنفسه بتشويه صورة ذلك الشاب الوسيم في عينيه.
انتهت الحفلة كمثيلاتها بطعام وشراب ورقص ، فعاد أدراجه لمنزلهم وركن سيارته بمكانها المعتاد ،ولكنه في هذه المرة كان يحادث نفسه باستغراب:
-أشعر أن أيامي أصبحت متشابهة الأمس كاليوم كالغد وكأني في دائرة مغلقة أسير بداخلها بلا إدراك أو تعقل!

دخل إلى المنزل فوجد أخته التوأم جالسة في الشرفة، وتمعن النظر في السماء ؛ فأتاها متسللا وقذف الرعب بقلبها فقالت بذعر:
-من؟! هل تتدرب على السرقة؟!لم أشعر بدخولك
-ههههه انا في الأصل سارق لقلوب الجميلات
-متى ستكتفي؟ أتمنى أن تأتيك سارقة وتسرق قلبك
أجابها بتكبره المعتاد:
-لا أعتقد أنها خلقت من تستطيع سرقة قلبي.
ثم صعد لغرفته ليتركها تعود إلى الغوص ببحر أفكارها تتخيل ملامح وجه من سيأتي لسرقة قلبها ورداء روحه.
تمدد عادل على سريره لكي يخلد إلى النوم ،فداهمت عقله كلمات أخته وتذكر الأيام التي عاشها في الماضي القريب، فقد أنهى دراسته الجامعية بسعادة عارمة وكانت من أجمل سنين حياته، لأنه كان يجد نفسه ذلك الشاب الوسيم الغني محط أنظار الفتيات مما جعل غروره يتملك قلبه، ولكنه دق منذ أن أصابته نظرتها كصاعق أنعشه وفي آن واحد كرصاصة مزقته لكيلا ينبض لغيرها وهي لا تعلم لكنه تعالى عن هذا الذي كان من الممكن أن يسمى حب عندما قال:

-لم أدع قلبي لها وأغلق قلوب الفتيات في وجهه؟! أنا من تتصارع الفتيات لأجلي أأهبها روحي؟!لا،لن أربط حياتي بأنثى.

كانت تلك الذكريات مغطاة بوشاح الندم(وشاحا شفاف)، خاف أن يذكر نفسه ويقتنع أنه كان مغروما بها آنذاك وفجأة ارتعش قلبه خوفآ من ألا ينبض مثل تلك النبضة مرة أخرى.

-ألو عاد بي الزمن هل كنت تقربت من تلك التي كانت من المحتمل أن أدعوها حبيبتي؟!.

لم يعلم لم طيفها راود عقله الذي لا يفكر بأحد إلا به ،وكأن ثقته بنفسه اهتزت والفتاة التي كانت ستسرق قلبه تحت سماء واحدة هو وهي ،فرب حبيبة لم تقل لها أحبك. وفي صباح يوم جديد أول ما تراءى لعيني خياله ووجهها.

حسام

رغم أن حياته لم تكن وردية لكنه لا يدع للحزن سبيلا إليه، فقد كان مصدرا للطاقة الإيجابية يجعل كل من يلقي التحية عليه يبتسم لا شعوريا ، وكل من يعرفه يمازحه بأنه كمنظف ينظف داخل من يجلس معه من الهموم والأحزان ،وهو يفخر بكونه على ما هو عليه لا يحب أن يرى أحدا حزينا لأي سبب كان فيسعى جاهدا أن يرسم البسمة ويمسح الحزن ولو بدعاية. أما مع عشقه الأوحد كان معلقا بها كطفل ولود يعانقها مع قبلات الصباح والمساء منذ طفولته وعند شبابه بات يتنفسها ويتمنى أن تصيبه وخزة الإبرة ولا تصيبها، فعندما ينقض الصقيع على الأجواء ويكشر عن أنيابه ليفترس من لم يستتر بوشاح من الدفء ،كان يعامل أمه كأمها بخوفه عليها ألا تصاب بتلك الموجات الباردة ويجد المرض سبيلاً إليها، فيلاحقها ليلا ونهارا بوشاحها الذي غذلته بيديها فأمدته بدفء يغطي دفئه فقد كان بمجرد أن يلامس جسده ما صنعت يداها يشعر بحرارة دافئة تغطي قشعريرة البرد مهما طغت عليه.

كان يتمنى دائما لو أنه من أغنى الأغنياء ليأخذها لأرجاء العالم ، ويجعلها تفتح عينيها ببلد وتغمضها ببلد

آخر، ولأجل ذلك قرر أن يفارق روحه ويحلق لسماء يستنشق تحتها هواء غير الهواء الذي تتنفسه أمه ،آخذا معه ذكرياته التي ساعدته على مواجهة ذلك الشوق القاتل .

إن الذي أمسك بيده وأوصله إلى باب الرحيل هو صحبة صديقه الودود ،لأن مرادهما كان واحدا ،وهو جمع النقود لكي يبنيان مستقبلا يطابق أحلامهما ، وبالرغم من كثرة أصدقاءه فقد كانت علاقته بهم كقطعة خشب تطفو على بركة ماء ؛ إلا هذا الذي ارتبط به بروحه، وكان يؤمن أنه لو لديه أخا بالدم لن يألفه بقدر ما يألف ذلك الأخ الصديق. كان حسام يحاول دائما أن يدعمه نفسيا ومعنويا وماديا إن استطاع فقد جبلت روحه على حب رسم البسمة على وجوه الغرباء ، فكيف إن كان من يحتاجها أخاه؟.

فقد كان تفاؤله مستمرا كإشراق الشمس وغروبها يجعل صبره وعزيمته كحجر الصوان ، حتى لو إعترضه أي عائق كان يجابهه بالإصرار وقوة الإرادة مما جعله يتحمل تلك السنوات التي قضاها في بلاد المغترب إلى أن جاء ذلك اليوم الذي اتصل به صديقه ليعلمه عن رغبته في زيارته فسعد لذلك وقام بترتيب غرفته قائلاً:

-لأرتب كل شيئ ، كيلا يمارس علي دور الأب بأن أكون مرتبا وأنظم أغراضي المبعثرة كسوق الثياب في العشوائيات.

استعدت بسمته لاستقباله ،وما إن انتهى حتى رن جرس منزله ، فأسرع وفتح الباب،

لكن ابتسامته هربت فجأة لأن الطارق لم يكن صديقه.

فقد كانت ابنة جيرانه تحمل طبقا من الحلوى، فمدت يديها نحوه بابتسامة أخذت عرض وجهها ، فأجابها بضيق يجتاحه فجأة عند رؤيتها:
-لماذا أتعبتي نفسك؟ شكرا لك لكني لا أريد.
فألحت عليه كالمعتاد، مما جعل دمه يغلي، فابتسم بإكراه لم يستطع إخفاءه ،وأخذ منها الطبق وهو يرغم ابتسامته على البقاء ثم أغلق الباب وقال في قرارة نفسه والغيظ يشتعل في داخله:
-أأخبرها أني لا أحب هذا النوع من الفتيات اللواتي يحاولن جذب انتباه الشباب على مقولة أقرب طريق لقلب الرجل معدته؟ وكأني إن أردت الزواج سأختار شريكة حياتي على أساس مهارتها بالطبخ! .
رن الجرس ثانية ففتح الباب وكان المنتظر، فتعانقا على الباب فلمح ابنة الجيران تراقبه مختبئة، فكاد أن يطحن أسنانه وهو يهمس في أذن صديقه:
-ماذا افعل مع هذه الفتاة؟! تفضل بالدخول
فرد مبتسماً بعد أن رأى طبق الحلوى :
-صدقني إن تزوجتها لن تمكث بين يديها بضعة أشهر حتى تحولك لخاروف، وهو أفضل من حالك كإشارة المرور.
فرد ضاحكا:

-أنت تعلم أني لست من هواة الطعام ،ولا أرغب في التحول.

وما إن وضع القهوة حتى ساد الصمت بينهما لدقائق، ثم قال صديقه كلمتين كانتا كصاعق كهربائي :

-سأعود للوطن.

تلعثم حسام من دهشته:

-ماذا؟! ستعود؟! متى ! لماذا.

صمت صديقه ثم قال:

-أنت تعرف السبب، سأذهب الآن إلى اللقاء.

ودعه حسام ليغرق في بحر الحيرة، أيعود أم يبقى أكثر، لعله يحقق ما سعى إليه؟ لكن حيرته لم تدم طويلا، ففرحة العودة غطت على شعوره بالخيبة من هذا الاغتراب. فقرر أن يتصل بأمه ويفرحها بالخبر الذي طالما انتظرته بلا يأس وهي تحلم بلحظة ضمه بين ذراعيها لتروي ظمأها من شوق غيابه ،
وهوأمضى ليالي يتخيلها أمامه ، لتكد صورتها أن تصبح حقيقة من شوقه لكل تفصيل فيها.
-آلمنا ذلك الفراق لكني سأعوضها عن تلك السنين التي قضيتها بعيدا عنها.
فاتصل بها سعيدا مقدما لإسعادها فجاءه صوت أخته وبعدأن تبادلا التحية سألها عن أمه، فلم يرغب إلا أن يلقي بالخبر السار على مسامعها بنفسه، فردت أخته بصوت مرتبك مشبع بالحزن:
- أمي ، إنها متعبة قليلا، أقصد نائمة
اشتعلت نيران الخوف والقلق في قلبه وهو يرجوها أن تجبه مابها فقطعت الاتصال وقطعت أنفاسه معه وكاد الدم أن يتجمد في عروقه وقلبه أن يتوقف وهو ينطق:
-أمي! أحصل لها مكروه ؟!

لم يجرؤ على معاودة الاتصال ، خشية سماع أي أمر سيئ حصل لها وهو ليس بجانبها ، أو أن تخبره أخته بما يخالف الحقيقة لكي ترح قلبه لبعده عنهم، فانشل عقله عن التفكير وأرهق قلبه فأغلق هاتفه وهرب إلى النوم لإطفاء عقله عن توقع الشر لأمه.

نهاية الفصل الأول

يحيى

تمالك قواه وجمع بقاياه الممزقة لمقابلتها، كان ذلك اللقاء المنتظر منذ أن فارقها ، شعر أن قلبه سيخترق ضلوعه ويحلق في السماء ليذهب إليها ، وعينيه ستسبقانه لمقابلتها، فلم يأخذ قسطا من الراحة بل اتصل بها بمجرد أن وطأت قدماه أرض الوطن ولكنها لم تجب، فعاد إلى المنزل، ولم يفارق هاتفه المحمول وهو يتمنى أن ترأف به وتسمعه صوتها فلم يرغب أن يذهب إليها من غير رضاها لمقابلته، خشية أن تأخذ قرارها فجأة وتنهي علاقتها به إن لازالت تحمل الحزن بداخلها منه . انتهى يومه وهو يحاول أن يراسلها ويتصل بها لكنها كانت تقطع اتصاله وأنفاسه ، بعدها اجتاح خوف فراقها كيانه أول مرة وسالت دموعه بصمت قاتل مزق أحشائه، وهو يمعن النظر بصورتها إلى أن اختلطت عيناه بوجهها وأصبح يراها بكل أرجاء المنزل؛ وعند حلول المساء لم يغمض له جفن واحد واستلقى على سريره، وهو يسترجع أيام خطبتهما فمع أنه قاوم النعاس كثيرا، لكنه استطاع أن يغلبه بلحظة واحدة ،فاستسلم وخلد إلى النوم وفؤاده يتمنى رؤيتها في أحلامه وعيناه تبحثان عن وجهها بين الخيالات وأذناه تصغيان لعلهما تسمعان كلمة أحبك بصوتها، وعندما

استيقظ تمنى لو مكالمة واحدة منها ، فلم يجد أمامه مرة أخرى سبيلاً إلا أبيها .

فاتصل به وواعده بمقهى يقصده الأب دائماً، بعد أن طلب منه ألا يخبر ابنته بلقائهما. فذهب أباها قبل الموعد المتفق، فقد أجج كلامه نار القلق بقلبه، وجعله يتأكد من شكوكه السابقة حيال ابنته ،وأنها تخفي أمرا من خطورته جعلها ارتكبت جرم الكذب عليه، وعندما وصل يحيى قص عليه ماحدث معه في بلاد المغترب ، وفسر أسباب عودته لأبيها الذي كان يستمع إليه كما لو أنه لا يوجد غيره في المكان ، كيلا تقع منه كلمة أثناء محاولته منع نفسه عن الغوص ببحر التفكير بحال ابنته المفاجئ، وعندما انتهى قال وكأنه أوشك على الهجوم عليه:

-ولماذا لم تخبرها بأنك لم توفق بعمل يحسن أوضاعك المادية ؟!

ابتسم وعينيه كادتا أن تغرقا بالدموع :

-لم أرغب في أن أزعجها وأكن سبباً بقتل سعادتها، فعندما نتحادث في كل مرة كنا نتحدث عما سنفعل في مستقبلنا فقط.

احتل الضيق وجه أبيها فصمتا لبرهة ، ثم استأذنه يحيى بالرحيل بعد أن توسل إليه أن يهدئ من روع ابنته ،ويطمئن فؤادها بأن كل شيء سيكون على ما يرام ،ثم أخذته أقدامه بالطرقات إلى حيث لا يدري، فقد أراد أن يمشي في الشوارع ليهون على نفسه من شوقه لها، لكن ذلك زاده عذابا فتلك الشوارع هي التي سارا بها آخر أيامهما معا وتشابكت أيديهما وتعانقت أرواحهما تمهيداً للفراق ،وما زاد من جبل الهم الذي أطبق على فؤاده أنهما تحت سماء واحدة ولم يلتقيا .انتهى مسيره به إلى مكان به شخص يزيح عن عاتقه كل الأحزان ؛ إلى دكان فيها كل ذكريات طفولته كان يأخذ منها حلوى ومكسرات وكل ما تشتهي نفسه بالمجان؛ إنها لصديق أبيه الذي كان بحنانه عليه كشلال من الاهتمام، كما لو أنه من أبنائه لأن يحيى أعطاه من صغره من المحبة ما زرع بداخله البذور إلى أن نمت بقلب ذلك الأب .

عندما رأى ابنه الثاني أمامه ، رقصت عيناه من الفرح، وكاد أن يغرد قلبه كعصفور أفاق في صباح يوم ربيع مزهر، فأسرع يحيى إليه وعانقه ثم قبل رأسه ،فانهال عليه بالأسئلة يطمئن بها على حاله ، فابتسم يحيى ابتسامته المكسورة المعهودة، وتعانقت أصابع يديه،

وأخفض رأسه قائلاً: -بخير المهم الآن أني رأيتك بصحة جيدة إلى اللقاء.

وعندما وقف وهم بالخروج، لم يسمح له وأرغمه على البقاء والتكلم، فلم يحتمل أن يراه مهموماً من غير أن يبوح له عما يرهق قلبه، فقص عليه ماحصل معه في غربته وعن مقدار الفجوة التي حصلت بينه وبين محبوبته فهون عليه قائلاً:

-لاتحزن يا بني فكل ما تمر به هو خير لك

اندفعت دمعة من عينيه، عنوة عنه أحرقت وجنتيه:

-أي خير يا أبي ، وأنا سأخسر ابتسامتي، إنها كل ما أملك. ثم ودعه ليكمل مسيره فقد كانت تلك أول مرة يحادثه ملجأه الآمن ولا يرتاح قلبه ، وأثناء مسيره استوقفه اتصال من صديق ، كان قد أعلمه بعودته إلى أرض الوطن ، فهنأه بالسلامة وأصر على دعوته لتناول العشاء في منزل الزوجية ، فسر لذلك وذهب في الموعد المحدد إلى العنوان الذي أعطاه إياه ، وعندما وصل إلى المنزل كان يتكلم عن نفسه ويدعوه للدخول، فوقف يمعن النظر بجدرانه التي ارتدت ثوباً فضيا لامعا جديداً وبتلك الأعمدة مع الأنوار الذهبية أضحى بأبهى حلة.

فأثار ذلك استغراب يحيى لعلمه بحال صديقه الذي كان بمجاراة وضعه، طرق الباب ففتحه صديقه وعانقه ثم دعاه للدخول وما إن دخل حتى باغتته عيناه كل لحظة لتسترق النظر في أرجاء المنزل وهو يحاول إيقافهما.
أقبلت زوجة صديقه لترحب به فقدم لها الزهور البيضاء والحمراء التي تعشق حبيبته عناقهما في باقة واحدة ، فابتسمت له ابتسامة جعلته يقذف بناظريه أرضاً ، فقد كانت ابتسامتها كأفعى حاوطت فريستها وأوشكت على الانقضاض عليها مما أثار الريبة لديه، وما إن جلس مع صديقه ليتجاذبان أطراف الحديث حتى أقبلت الزوجة وقدمت لهما أكواب العصير فنظر لها يحيى مبتسماً وتشكرها ،فرمقته بنظرات لم تخلو من الخبث والدهاء وهي تقول له على الرحب والسعة، ثم ذهبت لإنهاء اللمسات الأخيرة على العشاء فاسحة المجال له للحديث بدون قلق من نظراتها، فروى باختصار شديد ما حصل معه في بلاد المغترب تمهيداً لسؤاله عن تبدل حاله الكبير، لعله وجد عملا أمطر عليه ذهباً، لكنه وما إن انتهى من حديثه حتى دعتهم لتناول العشاء فجلس على الطاولة وضاعت عيناه بين أطباق الطعام الشهية فما حرمته الغربة من تناوله عوضته تلك المائدة به.

تصدرت ميرا الحوار بين زوجها وصديقه، ثم سألته عن حال مخطوبته ، فزوجها حدثها كثيراً عن مقدار عشقه لها ، فابتسم وعيناه رقصتا فرحا بالحديث عنها:

-لقد تجاوزت مرحلة الحب معها فأنا أتنفسها بعشق.

نظرت لزوجها وهي تطبق على فكيها وتخنق أصبعيها بالضغط على الملعقة ثم التفتت إليه قائلة:

-ومتى ستتزوجان؟!

ابتسم وعيناه ارتدتا وشاح الحزن فجأة:

-بعد أن أجد عمل .

وقبل أن ينطق زوجها بحرف واحد أوقفت كلماته قائلة:

-سأسأل لك أبي ، فهو مالك الشركة التي يعمل بها صديقك

صمت يحيى ثم نظر لصديقه الذي لم يدل بكلمة واحدة، فملامحه أفصحت عما بداخله ، فقد نظر لها وكادت أن تنفجر عروق وجهه من غليان الدم في رأسه ،فحاول بشق الأنفس أن يكتم ذلك أمام يحيى فابتسم له وأخبره بأنه سيرى إن كان عندهم شاغر يناسبه ؛حلق قلب يحيى بأرجاء صدره وشعر أن الفرج قد اقترب ، وبعد أن أنهى الطعام تشكرهما واستأذنهما بالرحيل فقد شعر أن الصواعق ستضرب المنزل من التوتر الذي حصل

بسببه وعندما صافحهم عند باب المنزل قالت له ميرا:

-انتظر رسالة من حبيبي من أجل العمل .
فأومأ زوجها رأسه بالموافقة على كلامها ، الذي كان جرعة تفاؤل أنعشت فؤاده ، ثم عاد أدراجه لمنزله وهو يتمنى أن يحصل على العمل بأسرع وقت ، لكي يقف أمام حبيبته بثقة يستطيع من خلالها الوفاء بالوعد الذي قطعه عليها قبل أن يبتعد عنها؛ دخل لمنزله وهو يتسائل بأي وقت ستتصل به وتطلب منه القدوم، متى سيحن قلبها عليه ! فلم يعتقد أن خبر عودته سيكون كالفاجعة بالنسبة لها.
استلقى على سريره وأطبق جفونه، ليرسم بخياله عناقها له، ويسمع فؤاده كلمة أحبك واشتقت إليك بصوتها الرنان، محاولا أن يخفف عن نفسه من هول الشوق إليها ،وقبل أن يسافر لعالم الأحلام أتته رسالة على هاتفه جعلته يقفز من مكانه ليرى من المرسل داعياً أن تكون هي ،فإذا بصديق أبيه يخبره بأنه وعائلته بانتظاره على الغداء غداً وما إن أتى الغد حتى استيقظ هو والعصافير معا آملا في اتصال منها ؛ فلم يرغب بالضغط عليها أكثر بعد أن حادث أبيها بل أراد أن تحادثه طواعية من قلبها. مضت الساعات عليه كأيام مع ذلك الانتظار الحارق.

ذهب مشيا لبيت أبيه ،ليمعن النظر في وجوه الناس سعياً منه لمنع عقله عن تخيل وجهها ،لكن بكل برهة كان يصارعه محاولا التغلب عليه فإذا به يراها في وجوه كل الناس . وصل لمقصده وما إن طرق الباب حتى أتاه الاحتضان بغتة من زوجة صديق أبيه ،وهاجمت وجنتيه بطلقات من القبل ،غطت بياض وجهه باللون الأحمر خاصة وهي تغازل جماله . جلس وسحبته ذكريات طفولته في هذا المنزل عندما كان يأتي مع أبيه وأمه فبدأ يخيل إليه أن أمه تناديه لتحتضنه وأباه يسحبه من يديها ليقبله وضحكاتهم تعلو مع أصحابهم. أعادته الأم للواقع عندما أحضرت له كأسا من الشاي، واستأذنته لتوقظ ابنها أسامة كي يتناول الغداء معهم ،فأباه على وشك العودة من العمل ،دخلت لغرفة ابنها التي كانت أشبه بالمقاهي حيث كل زاوية فيها تتنفس دخان السجائر إلى أن بان على الجدران أعراض التدخين غير النرجيلة التي لو استطاع أن يرتاح لعناقها ويخلد إلى النوم لفعل ذلك، فهي لا تفارق جانب السرير أمام عينيه.

وقفت تمعن النظر بالفوضى وهي تتمنى أن يسمح لها بتنظيفها بشكل يومي، ثم حاولت إيقاظه من النوم لكنه كان كمن دخل في حالة إغماء ؛ لكن عندما فتحت النافذة قفز وكأنه أصيب بصاعق كهربائي ،قائلا : - أغلقي النافذة. ثم عاد ليعانق الوسادة ؛ لكن عندما أخبرته أن يحيى في الخارج فتح عينيه وكأنه تلقى صفعة على وجهه ،فنهض من السرير بضيق واشمئزاز وهو يقول بامتعاض في قرارة نفسه: - ياليت طائرته هبطت في المحيط عوضاً عن المطار.

وبعد أن حارب الخمول خرج من غرفته ليرحب بعودة يحيى، فرسم الابتسامة الصفراء على وجهه وهو يصافحه وما إن جلسا سويا ،حتى فتح الأب الباب ورقصت عيناه فرحا ،فهرول إليه ليعانقه بحرارة ،وكأن ذلك اللقاء الأول . ثم جلسا يتبادلان أطراف الحديث، وجلس أسامة لدقائق ينظر بطرف عينيه مشتعلا من جو الألفة الذي ساد بينهما وعندما انتهت الأم من تحضير المائدة أجلست يحيى بصدارتهم وهي على يمينه والأب على شماله وحلقت الضحكات لتغمر المكان؛ وبكل لقمة يتناولها يحيى كان يحثه الأب على إنهاء طبقه وتناول آخر والأم تطعمه بيدها لقمة تلو الأخرى ، إلى أن أجج ذلك نار الغيرة والحقد في قلب

أسامة بعد أن كادت تخمدها تلك السنين الغابرة، فأفاقوا
من غير إدراك ذلك الثعلب النائم داخل
ابنهما.

عادل

مع استمرار إشراق وجهها في خياله أيقن أنها من امتلكت قلبه وعليه إيجادها مهما كلفه ذلك؛ ولأول مرة استيقظ مع العصافير وبتركيز أسد يراقب فريسته، ذهب لتحضير قهوته وجلس يبحث في صندوق عقله عن طريقة توصله إليها، انتهى من احتساء قهوته بلا إفادة ،فقرر الغوص أكثر في بحر أفكاره، وصعد غرفته ليرتب أغراضه لأول مرة في حياته، فأخرج كل ملابسه من الخزانة وأعاد كل قطعة فيها على حدا كما لو أنه احترف العمل في محلات الألبسة ، وبمنتصف حملة الترتيب لمعت في رأسه فكرة أن يذهب لصديقه الذي كان معروفاً بشغفه بمعرفة أخبار زملائه فترك ما تبقى بين يديه وأسرع متلهفا إليه. استقبلته الخادمة ودعته إلى انتظاره في غرفة استقبال الضيوف لكن الدقائق مضت عليه ببطء نهوضه من السرير قبل أن تحتل عقله، فشعر كما لو أنه عاش معها قصة حب لسنين ثم ضاعت منه فجأة في ظروف غامضة، فأصبح شغله الشاغل إيجادها وشعر بالندم يمزق قلبه كفتات الخبز لأنها كانت أمام عينيه ولم يتكلم معها قط؛ وبزحام تلك الأفكارأقبل صديقه بقناع الابتسامة ،ثم رحب به

فرد عادل التحية كما لو أنها من صوت عادل آخر مرتبك مما أثار دهشة صديقه فسأله عن سبب توتره الذي لم يعهده قط ، فقص عليه مبتغاه ولم يفده إلا بأنها تخرجت معهم من نفس الدفعة ولكن المعضلة أنه لا يعرف اسمها، فضحك صديقه ضحكة حاول من خلالها إخفاء سخريته بتلك الكلمات
قائلا:

-أستحلفك بالله يا رجل، أتظنني عرافا ؟! كيف لي أن أعرفها من دون اسمها؟
ابتسم عادل ليخفي الدموع التي كادت أن تملأ عينيه وأخبره بتفاصيل وجهها التي احتلت عقله، لعل جمالها يذكر صديقه بها، فشرد يفكر بما قاله عادل وعندما انتهى من وصفها قاطع شروده بنظرة رجاء :
-ما ردك؟! تذكرتها أم أن هناك أحداً من الأصدقاء من المحتمل أنه يعرفها؟
نظر له بابتسامة ثعلب قدير ومحترف في أصول الخبث:
-لا تقلق يا صديقي سأجدها لك.
لم يسأله عن سبب بحثه عنها فهو يعلم أن غروره سيمنعه من الاعتراف بحبه لها غير أن عينيه تفضحان ما يدور بقلبه ومع عادل الجديد المتوتر أيقن صديقه أنها أعراض الحب. ودعه عادل واستقل سيارته وقال بدهشة:
-ما تلك الأحاسيس التي باتت تراودني وكأني لم أعد أعرف نفسي
دخل للمنزل وعيناه لم ترغب إلا برؤية الأرض، فصعد مباشرة لغرفته ليكمل المعركة التي كان يخوضها مع ثيابه المبعثرة فوجد كل الثياب التي رماها على السرير

قد عادت بترتيب منظم إلى أماكنها، فعلم أن أمه قد تداركت الفوضى فوقف عند باب غرفته يمعن النظر فيها بصمت ثم
بدأ بالتغيير ليتماشى مع التغيير الذي يعيشه ويكسر رتابة الروتين الذي كان يلتف حول عنقه.

فاتجه لينتزع صوره التي غطت الحائط ، واكتفى بصورة الفتاة التي وضعها بالمنتصف فهي فتاة أحلامه الخيالية التي لم يخطر بباله يوماً أن يرى لها مثيلاً على أرض الواقع، ثم اتجه لتغيير مكان مرآته حيث كلما فتح باب غرفته كان ترحب به وتعكس له إطلالته الخلابة على حد مزاح توأمه، التي كانت تقف عند باب الغرفة وتشاهد ما يفعل لكنه اعتبرها كذبابة واقفة لتجنب أسئلتها، فدخلت ووقفت بمنتصف الغرفة تحاول اختبار قوتها بضرب كيس الملاكمة المتدلي من السقف وتشتت انتباهه كي بجيبها من دون تفكير:

-ما الذي يحصل معك؟!أنت لا تحب أن يحرك أحد حذاءك من مكانه والآن تغير بنفسك كل شيء؟!

فرد وهو يحاول وضع مرآته بمكان يروقه:

-لا تعرقلي ما أقوم به اخرجي الآن .

وما إن أوقف المرآة بزاوية الغرفة ،وخرجت أخته بضع خطوات، حتى هرول لها وأمسكها من معصمها، ليعيدها إلى الداخل ثم أجلسها على عرشه الملكي، الذي لا يسمح لأحد حتى بتجربة فراشه لحظة وبدأ يصف تلك الفتاة بأبيات شعر لم يعيها ثم اختتم قوله: -أعرفتي من هي؟!

صمتت لبرهة ثم قالت له وهي تغلق عينا وتقرص ذقنها
:
-امممم، أعتقد أني عرفت من تقصد، لكني لم أكن من هواة حفظ أسامي الفتيات، لذا سأسأل لك صديقاتي.

ابتسم بارتباك وهو يتشكرها ، فانسحبت لتتركه تائها في متاهة الحب يبحث عن مخرج يجد فيه ما كان متيقنا أنه لن يخترق قلبه بسهامه الحارقة إلى أن خاب يقينه، فأصبح وجه حبيبته المحفور بذاكرته خارطة طريقه وعيناها بوصلته التي يهتدي بها ليسحق أيامه الغابرة ويخلق لنفسه حاضراً ومستقبلاً مختلفاً عما مضى.
استيقظ مبكراً والتقط هاتفه متلهفا لعل ردا أتاه من صديقه لكن أمله قد خاب، فاندفع من سريره ليعدو عدو الأسود إلى غرفة توأمه وعندما وصل للباب استوقف نفسه لكيلا تفضحه لهفته أمامها ،وطرق الباب بأنامله ثم انتظر ردها لحظات لكنها لم تجب. فتمالك نفسه وذهب لشرب قهوته ، ومع أنه لم يمض عليه سوى ثلاث أيام اعتكف بها في غرفته، لكنها أنسته الأصحاب وأماكن اللهو والتسلية وكأنه لم يخرج بصحبتهم قط.
لكن استيقاظه مبكراً جدا عن المعتاد أثار فزع أمه خوفاً من أنه يعاني من ألم أقلق نومه فأسرعت إليه مهرولة ،وانهمرت عليه بفيض من الأسئلة تطمئن على حاله فأجابها كمن أرغم على الابتسامة:
-لا أعاني من مكروه لكني أرغب بتغيير أسلوب حياتي لذا من الآن فصاعدا سأستيقظ باكرا فلا تقلقي.

ومن سوء حظه أنه علق في أنياب سلمى بعد استراقها السمع عليهما:
-إنها من علامات العشق يا أمي، ليعينها الله من ابتلاها بحبك.
وقبل أن ترد أمها موبخة كالمعتاد أطلق عادل كلماته كالرصاص الحي:
-لا علاقة لك ولا يجب أن تتكلمي بهذه الأمور.
أصيبتا بالصدمة لرد فعله العدائي ،مما جعلهما تلزمان الصمت ثم انسحب لعمل فنجان ثان من القهوة، وأثناء ذلك أتته رسالة نصية وحيث أنه لم يعد يفارق هاتفه بمجرد أن سمع صوته فتحه بلهفة فرأى رسالة نصية من مرسل مجهول:-الفتاة التي تبحث عنها أنا أعلم من تكون.
أثارت تلك الرسالة صدمة وريبة لديه وتداعت داخل عقله دوامة من إشارات الاستفهام والشك فعاود الاتصال بالمرسل المجهول ولكن بلا نتيجة مرارا وتكرارا ،لحين أغلق المرسل الاتصال مرة ومن ثم هاتفه كلياً ، فشعر عادل وكأنه يتعمد إرباكه وإقلاق راحته فلم يستطيع إلا أن يعاود اليوم بأكمله اتصالات متكررة لعله يرأف به ويجيب عليه فزاده ذلك توترا.

حسام

عاد أدراجه لوطنه منوم العقل مغيبا عن وعيه ليرى بعينيه ماذا حل لأمه، احتضنه أباه وأخته بشوق عمر كامل ولكنه كان كتمثال محنط لا يشعر بهما، بحثت عيناه وروحه وقلبه عليها في أرجاء المنزل فلم يجدها، نظر لأبيه بعينين مذعورتين وبدون أن ينطق فاه بكلمة قال له:-إنها نائمة

ذهب نحو غرفتها ليراها وكأن الوقت توقف عنده خشية أن يرى أجهزة التنفس تساعدها لتبقى على قيد الحياة، لكنها كانت كالملاك النائم فركع على ركبتيه وقبل يدها برفق أم على رضيعها كيلا يقلق راحتها، ليقطع أباه أجمل ما كان يحلم به قائلاً: -لاتقلق إنها متعبة قليلاً.

انسحب لتحلق عينيه في أرجاء المنزل فقد كان يخبره من إطلالته أن أمه هي من اعتنت به فالأريكة كما لو أنها أتت لتوها من محل المفروشات والطاولة في منتصف الغرفة مزينة بغطاء من الورود البيضاء مصنوع بأناملها، وآخر يغطي التلفاز الذي مهما حاول أحد البحث فيه عن ذرة غبار فلن يجدها، ثم دخل ليقابل كل غرفة بالمنزل فوجد الغرف كأنها لا تستخدم من أحد، فقط تنظف يومياً؛ إلى أن وصل لغرفته فوجد كل شيء كما اعتاد عليه من آخر دقيقة كان بها وما أن لبث

بضع دقائق بعد أن مد جسده على السرير حتى غط كطفل في نوم عميق فقد نام لأول مرة منذ سفره بهدوء وسلام، فلم يعد ما يؤرق أحلامه لأنه وصل لحلم أحلامه.

وبعد ساعتين فتح عينيه على صوت عشقه الأوحد تحثه على النهوض، وبمجرد أن سمع ذلك الصوت الدافئ حتى انقض على يديها ووجنتيها بشلال من القبل، فسالت حبات اللؤلؤ على وجنتيها فرحا بعودته ،فقد تحقق حلمها ورأت نبضات فؤادها، وأطفأت عطش شوقها بتقبيل وجنتيه ،مما مسح لون الليمون الأصفر من وجهها، واكتسى بلون التفاح الأحمر وفي تلك الأثناء أنهت أخته تحضير طاولة الطعام فقالت له والبسمة تغمر وجهها:

-برغم غيابك كانت أمك لا تسمح لأحد بالجلوس على كرسيك وتضع طبقك أمامه فلم تغب عنا يوماً.

نظر لها ثم لأمه بعينين ضاحكتين:

-أما أنتم لم تغيبوا عني يوماً، وبدون أطباقكم ولا كراسيكم .

ثم تعالت الضحكات التي كانت نابعة من لوعة قلوبهم المشتاقة، وفي خضام ذلك الجو الحميمي؛ خرج والده من غرفته يسير باتجاههم جسدياً وعقله وروحه ذاهبان بطريق معاكس لمكان آخر فتاه عنهم وخرج من المكان بدون أن ينبس ببنت شفة، مما أثار قلقهم خاصة حسام الذي جرى وفتح الباب ونادى عليه بصوت خائف، فلوح له بدون أن يلتفت فخشي أن يكون أباه قد استاء

لغيابه تلك المدة ومن ثم عودته بدون نقود تذكر فدخل وهو خافض الرأس ويقول في قرارة نفسه :-هل قرار عودتي في هذا التوقيت صائب أم هو غلطة أكبر من هجرتي؟!.

وعند قرب حلول المساء وبينما كانوا يشاهدون التلفاز، عاد أباه ولم يقل إلا مساء الخير ثم دخل مباشرة لغرفته، فذهب حسام خلفه ليحاول معرفة السبب الذي جعله يخرج من المنزل بيوم إجازته بتلك الطريقة، وما إن سأله عن سبب ذهابه حتى اعتذر عن الإجابة وطلب منه أن يدعه يرتاح بمفرده ، فلم يرغب في الضغط على أبيه، فخرج وهو متأكد من شكوكه وشعر بالحزن لحاله فقرر الإسراع في البحث عن عمل.

نهاية الفصل الثاني

يحيى

تردد كثيراً في أن يطلب من أبيه أن يساعده في إيجاد عمل ،لأنه عندما عزم أمره على السفر حاول جاهداً إقناعه بالبقاء ومساعدته في إيجاد فرصة عمل أفضل، لكنه أبى عن ذلك وأصر على الرحيل ، لكن عند وداع الأب ليحيى ابتسم بوجهه وطمأنه أنه سيسعى معه لإيجاد عمل له ، فانفجرت أساريره فقد رغب أن يطرق أكثر من باب ليكسب الوقت.

وفي أثناء طريقه للمنزل أتته رسالة من صديقه يعلمه بها أنه وجد له عملا وطلب منه القدوم مساء الغد لمنزله ليعلمه التفاصيل ،فحلق قلبه فرحا بأن المعضلة التي كانت أمامه قد حلت وأزيل الحجر الذي أعاق مضيه قدما، وعزم أن يتصل بعشقه عندما يصل ويخبرها كي يحلق قلبها مع قلبه في سماء السعادة ،وعندما وطأت قدمه المنزل رن هاتفه برسالة أخرى فتردد بفتحها خوفاً من أن تكون اعتذاراً سريعاً من صديقه عن القدوم إليه فهل يعقل أن تحل مشكلته بتلك السرعة؟!

مضت ساعتين وهو يحدق النظر بهاتفه وتمنى لو أن يقرأ له أحد فحوى تلك الرسالة بدون أن يمسك هاتفه ويقرأها، فقرر الاحتفاظ بجرعة السعادة التي أعطيت لقلبه ولا يقرأها كي لا يصاب بخيبة أمل قاتلة، وانتشر في أرجاء المنزل كي يبدأ حملة التنظيف وعند حلول المساء أيقن أنه لا مجال من الهرب فلن يستطع الخلود إلى النوم بدون قراءة الرسالة، وعاد قلبه ليدق طبول الفرح فقد وصل إلى مرحلة النشوة من جرعة السعادة المفرطة لأن عشق فؤاده أخبرته أن عائلتها بانتظاره بعد الغد على الغداء، مع أنه تمنى لو سمع صوتها بتلك الكلمات لكنه أحس أنها لم ترغب أن تسمعه صوتها لأن لا تجرح فؤاده بتغيير موسيقاه إلى نغمة لم يعتد سماعها، فعشقه لها جعله بكل رضى يحترم رغبتها.
فقرر تأجيل زف الخبر السعيد لها حتى يقابل صديقه ويعرف كل تفصيل عن عمله ويخبرها وجها لوجه ليرى بأم عينيه ملامحها التي اعتاد عليها؛ وما إن حل المساء حتى سبقته قدماه إليه، طرق الباب وفتحت له زوجته بابتسامة أخذت عرض وجهها مرتدية ثوباً لم يكن ملائماً لاستقبال ضيف؛ وجسدها المستتر بأساور وخواتم وقلادات غطته كدرع ذهبي خيل إليه بأنها عادت لتوها من احتفال وما إن فتح فمه ليسألها عن

زوجها سارعت بإسكاته ، وأخبرته أن زوجها في طريقه إلى المنزل ثم دعته للدخول ؛ دخل متردداً لما رأى من غرابة شكلها عن المرة السابقة التي رآها بها وما إن جلس على الأريكة قدمت له فنجانا من القهوة وكأنه كان بانتظاره ، سألها باستغراب
:

-هل حصل أمر طارئ جعله يتأخر بالعودة ؟
ردت بضحكة انتشرت في أرجاء الغرفة :
-لم أنت خائف هكذا؟! أنا لا آكل الرجال.
أخفض نظره أرضاً لخجله وبابتسامة استطاع وضعها بشق الأنفس على وجهه ثم بدأت سلسلة من الأسئلة عن حياته الشخصية ،وكأنه في جلسة تحقيق وعندما كان يجيبها استرق بضع نظرات فأيقن أنها تكبرصديقه ببضع سنوات ،فوجهها كان يخبر عن عمرها برغم محاولتها إخفاء العلامات التي يتركها الزمن إلا أن تأثيره بدا واضحاً عليها، فأصيب بدهشة من تبدل رأي صديقه الذي كان يقول أنه تحت أي ظرف لن يتزوج إلا بفتاة تصغره ببضع سنين بعد أن تخطف قلبه بسحر جمالها، كونه من عشاق الجمال. وبعد ساعة من الاستجواب أمسك هاتفه ليتصل بصديقه ويعرف سبب تأخيره وبسرعة صقر جارح التقطت هاتفه من بين أصابعه وأغلقته كلياً ففزع لسرعة تحولها فقال بنبرة غضب حاول إخفائها:
-ماذا تفعلين؟
فردت بتلعثم:- أخاف إن كان يقود سيارته وأجاب عليك سيعرضه ذلك لحادث، فقد أرسل رسالة لي للتو ،

أخبرني بها أن أجعلك تنتظره ، فقد استجد أمر طارئ في عمله لكنه لن يتأخر .

ثم انسحبت لتعد العصير الطازج وتركته يفكر مع نفسه بكلامها وهو يشعر بالذنب لأنه ظلمها بأفكاره ، وعندما عادت اعتذر لها إن كان انتظاره يعيقها عن القيام بعمل ما، ولتثبت له أن وقتها فارغ كلياً اتصلت بخدمة التوصيل بأحد المطاعم بعدما عرفت من استجوابها له أنه يحب الدجاج المشوي، ومع أنه خشي أن يسبب لها الإزعاج بانتظاره أكثر لكن إصرارها وإصرار معدته جعله يتخيل تناوله الدجاج قبل وضعه على المائدة.

بدأ الوقت يسير كسلحفاة كهلة والضيق يتسرب لقلبه، فلم يستطع التمييز أن ذلك نابع من نهمه بعد تناول كمية كبيرة من الطعام أم من الانتظار؟!لكن عطشه لعمل يعود به إلى عشقه جعله يستحلي مرارة الانتظار وبعد شرب فنجان من الشاي أيقن أن هناك سبباً قاهرا أرغم صديقه على التأخر بدون أن يتصل به أو بزوجته كي يبرر ذلك ، فاعتذر لميرا عن الوقت الذي أمضاه وشعر أن عليه الذهاب في الحال والعودة في وقت آخر لأن تأخيره تجاوز الساعتين ؛وعندما هم بالرحيل طلب منها أن تخبر صديقه أنه ينتظر اتصالاً آخر منه وبدأ يجر الخيبة خلفه وبغمضة عين وقفت أمامه كجبل منعه من السير خطوة واحدة وكادت جفون عينيه تتمزق من صدمة ما رأى.

عادل

نهض في اليوم التالي وبأول لحظة استقبلت عيناه بها ضوء الصباح قال:-أعتقد أن ذلك مقلبا من هاني يثير به فضولي. فاتصل به وقال له مازحاً :
-ماذلك المقلب السخيف ياصاح؟
رد بدهشة:
-مقلب؟!عن ماذا تتحدث ؟فلست أفهم.
ضحك عادل وأخبره بأمرتلك الرسالة حيث أنه لم يطلب من صديق سواه فقال له محتدا:
-لم أفعل هكذا بك؟! وما تلك السخافة الهوليودية من الواضح أنها من فبركتك.
أنصدم عادل من ردة فعله العدائية ، وبرغم إخباره أنه لم يقصد الإساءة إليه ، لكنه قطع الاتصال به وتركه يغرق في بحر الحيرة مجدداً، فحاول أن يتصل به كثيراً ليشرح قصده، خشية أن يوقف بحثه عن حبيبته ، لكنه لم يجب إلى أن أغلق هاتفه كلياً ، فعاد لتساؤلاته:
-أيا ترى عندما سأل هاني أحداً من أصدقائنا أعد لي هذا المقلب ، من باب مزاح الأصدقاء ؟! .وقبل أن يجتاح عقله فيضان الأسئلة حاول أن يضع حدا لها، فأغلق باب أفكاره وأمسك قلما وورقة يحاول استرجاع

ملامح تلك الفاتنة فلاح لذهنه تلك الأمواج الذهبية التي لفحت ذات مرة وجهه وعينيه فحفرت صورتها بخياله دون علمهما.

وعندما شرع برسم الوجه ذا لون الغيوم الصافية فإذا بصوت توأمه تطرق بأناملها على الباب وتستأذنه بالدخول ، فانتفض مفزوعا وقفز ليضع الورقة أعلى خزانة الملابس التي كادت أن تلامس سقف غرفته وفتح لها الباب ببسمة مرتبكة فنظرت له ثم مسحت غرفته بعينيها وقالت:

-ماذا كنت تفعل؟ فوجهك ليس طبيعياً.

ثم دخلت لتجلس على عرش توأمها وهي تقول:

-بشأن الفتاة التي كانت معنا في الجامعة

فقاطعها بلهفة :-هل وجدتيها ؟!عرفتي من هي؟!

-عندي صديقة مسافرة تعرف صديقة تلك الفتاة وعندما تعود سنذهب إليها ونأخذ عنوان حبيبتك فلا تقلق ، فرد بتلعثم طفل يتعلم الكلام :

-حبيبة من؟! أنا ؟ لا من أجل صديق لي ملتاع ليجدها.

رمقته بنظرة أغلقت فمه ومنعته من الإنكار فعيناه لم تتوقفان عن فضيحته ، ثم خرجت لتتركه مع إحساسه بالذنب لإخفائه عنها حقيقة حبه فقد كان دائماً كالماء الشفاف يعكس وجهه الغرور الذي اعتاد إظهاره.

بمجرد أن جلس ليكمل لوحته عادت نار فضوله للاشتعال عندما تلقى رسالة من ذلك المجهول يخبره بموعد اللقاء في مطعم قريب من منزله بعد ساعة كي

يخبره عن مكان فتاته، فاستوقفته تلك الرسالة بين ريبة من المرسل وشوقه للقائها ، ولأنها أصبحت إليه كالقمر وسط النجوم أضاءت بنورها عتمة أيامه عندما أخرجته من دائرة روتينه رغم غيابها، فاعتبرها معجزة لن يرى لها مثيل ،فقال في قرارة
نفسه:

-أعتقد أن هذه لعبة تشويق من أحد أصدقائي ليفاجئني بحب حياتي كي أكافئه وألبي له أمرا يرغب به.
ثم قفز كالفهد يرتدي ملابسه ناسيا أن يصفف شعره بوقت تستغرقه فتاة بيوم زفافها ،فقد كان يغطي عينيه بكل خطوة يمشيها هرولة ويرفعه بلا مبالاة لمظهره.
استقل سيارته وبدأت موجة من التساؤلات تعصف بأفكاره: أيا ترى أي صديق سيقابل وهل سيعطه عنوانها أم سيقوده إليها أم أنه سيفاجئه وستكون بانتظاره؟!. وعند وصوله لباب المطعم كانت عيناه تبحثان بسرعة بين الناس الجالسين على الطاولات يميناً ويساراً عن شخص يلوح له بالجلوس معه ، ثم انتقلتا مسرعتين لهاتفه عندما رن برسالة تخبره بأن يذهب للنادل ويعرف بنفسه ويأخذ منه ورقة بها عنوان المكان الذي سيلتقيان به ،فركض نحو النادل وحاول معرفة أي شيء منه يفيده للتعرف على هوية ذلك المجهول لكن النادل لم ينطق بكلمة تفيده واكتفى بأنه لا يعرف غير أنه شاب أخفى ملامح وجهه وأعطاه هذا الظرف باسم عادل ثم ذهب؛ وقف عادل كتمثال مصدوما مما سمع وتسرب الخوف لقلبه رويداً رويداً ،ثم تردد لبرهة بالذهاب بسبب المبالغة بالغموض الغريب لكن فضوله لاكتشاف السر خلف تصرف المرسل المجهول وشوقه

لها دفعاه لأن يستقل سيارته ويسابق الريح للوصول إلى المكان المحدد.

حسام

جلس بصمت يحتضن بعينيه السماء التي طالما اشتاق إليها فقد كان يعاني من صراع بين قلبه وعقله وهما يؤنبان بعضهما على العودة؛ فطرق يحيى باب أفكاره فجأة فاستوقف نفسه قائلاً:

-منذ عودتنا ولم نلتق مرة واحدة، ياترى ماالذي منعه من القدوم إلينا؟

التقط هاتفه ليطمئن عليه ومع تتالي الاتصال به لم يجب فعاد ثانية لبيت أفكاره، ولكنه فتح باب جديد له طارق واحد وهو لم يأت إلى الآن، فلم يقابله قط أو يفكر به لكنه عندما عاد إلى سماء وطنه وروى عينيه من عطش الشوق لحبه الأوحد فكر بالفتاة التي ستحتل قلبه بجوارها، فبعد أن تطرق باب قلبه ستدخله و تغلق خلفها بالمفتاح إلى الأبد، وبما أن قلبه لا يخيب الظن مطلقاً أخبره أنه على وشك اللقاء بها فترك قدومها للقدر ،لأنها ستأتي بأي وقت كان.

ذهب للنوم لاستقبال يوم جديد كالنحل الدؤوب للبحث عن عمل، فطرق كابوساً باب أحلامه جعله يهرع من فراشه ،فكاد قلبه أن ينفجر من هول ضرباته مع أنه حاول أن ينتزع من قلبه إحساس إصابتها بمكروه، لكن قوة حدثه تغلبت عليه فتحرك نحو غرفة أمه على رؤوس أصابعه ،ونظرت عينيه بحنان فائض ،فاطمأنتا لرؤية وجه الملاك النائم وأراح قلبه بتقبيل وجنتيها لكن سرعان ماعاد قرع طبوله عندما عادت ذاكرته به لماض ليس ببعيد، فقد كان نومها كخفة الفراشات تفتح عينيها إذا لامس الهواء وجهها، لكنها الآن لم تبدي أي حراك فزاد ذلك من قناعته بكلام قلبه الذي لم يسمح لعينيه بالتحليق في سماء أحلامه، فاستلقى على سريره منتظراً أن ترتدي السماء ثوبها الأزرق وما إن لبثت الشمس بالشروق حتى اتجه لتحضير فنجان من القهوة استعداداً لإشراق وجه أمه لكنها لم تستيقظ كما اعتاد عليها ،فشرب القهوة وعزم على تحضير الطعام، فاستيقظت أخته وعندما رأته بالمطبخ غرد صوتها كطفلة فرحة :

-كم اشتقت لتناول الإفطار الذي تعده بيديك.

فقال بلا اهتمام وهو يضع حبات الزيتون بطبقه المزخرف:

-لماذا لم تستيقظ أمي وتشرب القهوة بوقتها الذي اعتدنا عليه منذ صغرنا.
ردت بنفس الارتباك السابق عندما حادثها على الهاتف:
-لا أعلم ، ربما أرادت تغيير نمط حياتها الآن.
لم يصدق ما قالته فقد شعر أنه قلبه ينقبض بضيق من صوتها المرتبك فقال في قرارة نفسه:
-عاد ذلك الشعور البائس، فيجب أن أجد الحقيقة بنفسي.

جلست أخته على الطاولة لتناول القهوة، ريثما ينتهي الطعام وكما اعتقد حسام أنها ستنطلق لإعطاء الدروس الخصوصية، ثم استيقظت أمهم والسعادة تغمر كيانها لأول صباح أناره حسام بوجوده بينهم .

-صباح الخير

فردا بصوت واحد:- صباح النور يا أمي

وعلت ضحكاتهم لتوقظ أباهم فاتجه إلى المطبخ :

-ما أجملكم على ماذا تضحكون؟ أنا جائع.

فتعالت ضحكاتهم مجدداً فقال حسام ضاحكاً:

-ألا زلت تستيقظ جائعاً كل يوم؟أوشكت على الإنتهاء حتى الأطباق المزخرفة كانت سعيدة لتراصها جنباً إلى جنب تنظر إلى تلك العائلة المتحابة ،ومع أنها أطباقا إعتيادية لهم لكن أنامل حسام قد أضافت شيئاً مميزاً لها ونكهة لم يتذوقوها منذ غيابه ومع إنتهاء أخته من تناول الطعام قالت لأمه: -استعدي يا عزيزتي وارتدي ملابسك فلا نريد التأخر.

فألقى سؤاله كسهم أصاب دهشتهم :-إلى أين ستذهبان

رد أخته باستغراب :-لم نعتد عليك أن تسأل هذا السؤال.

فاستغل ردها قائلاً :-غيرت ما اعتدت عليه كأمي العزيزة.

فردت مازحة : -سر خطير بين الإناث .
ثم انسحبوا لغرفهم ، بعد أن أخبرهم حسام أنه سيذهب للبحث عن عمل، وارتدى ملابسه استعداداً لذلك ، لكنه استمر بالمماطلة كي يخرجوا جميعاً من المنزل وقبل أن تنتهي أخته سألته عن موعد خروجه
فشعر أنها تريده أن يخرج قبلهم فأثار ذلك استفزازه فقال لها محاولا كتم غيظه وبشي من المزاح:

-لم تسألين عن موعد مغادرتي هل تخططين لشيء؟
فردت مرتبكة: -أنا؟!لا ، أقصد لو ستغادر المنزل بعدنا أتمنى أن تغسل الأطباق.
فصمت للحظة محاولا تصديقها:
-أمرك يا مولاتي سأغسلهم فأنا أعلم أنك ستدعين كل شيء لأمك.
هم بغسيل الأطباق ،وبدأت عواصف أفكاره تأخذه من جهة إلى أخرى ولم يعلم على أي بر سترسي به لكنه لن ينتظرأكثر حتى يعرف بنفسه ما يخفونه عنه ،وما إن إنتهى حتى هممتا بالخروج فكاد فاه أن يخونه وينطق ذات السؤال لكنه خاف أن يصيب أمه بالإزعاج، فأغلق فمه عنوة عنه، وبلحظة خلو المنزل أسرع كصقر يحلق في غرفة أمه تبحث عيناه عما يخمد نار الشك في قلبه، فبدأ بخزانة الملابس بكل حذر ،بحث داخل وتحت كل قطعة ثياب لأمه وأبيه على حد سواء لكنه لم يجد شيئاً ، فاتجه يبحث تحت السرير وداخله وتحت الوسادات بلا جدوى، فوقف لبرهة بمنتصف الغرفة يستجمع أفكاره المبعثرة إلى أن قادته للخزانة الصغيرة التي هي على يمين السرير بجانب وسادة أمه منذ نعومة أظفاره، فوضع يده على المقبض لفتحها فتسارعت ضربات قلبه ،وعندما تردد لبرهة

خاف أن تمنعه نفسه من الحقيقة التي يحاول تكذيبها خوفاً من الألم، فسحبه بسرعة إلى أن وجد ما أكد صحة شكوكه.

نهاية الفصل الثالث

يحيى

أقفلت الباب ووضعت المفتاح في صدرها، وكلما اقتربت منه بخطوات ثابتة كان يتراجع إلى الوراء مذهولا مما يصدر من أنثى متزوجة بشاب وسيم أصغر منها سنا، فتسارعت ضربات قلبه ووقع على الأريكة مما جعلها تتمكن منه قائلة:

-إن كنت تريد الخروج خذ المفتاح بنفسك.

ولامست بنعومة لحيته الصفراء التي كادت أن تتحول إلى اللون الأبيض من هول الصدمة، فانتفض من مكانه وأبعدها عنه غاضباً وبسرعة البرق اتجه للباب وكأنه سيدافع عنه، ثم أخرج هاتفه ليتصل بصديقه لعل قدومه يخرجه من الموقف الرديء الذي وضع به، فانقضت عليه وخطفت الهاتف من يده كلصة اعتادت السرقة ووضعته إلى جانب المفتاح وقالت ضاحكة:

-لو تريده أيضاً تعال وخذه بنفسك.

شل لسانه عن الحركة من تلك التصرفات الصبيانية التي تصدر من امرأة في منتصف الثلاثينيات فقال محتدا مرتبكا :

-ماذا تفعلين ؟!بحياتي فتاة أعشقها وأنا لها بما أحل الله.

فردت بقهقهة ساخرة :

-أستحلفك بالله عن أي حلال تتحدث؟! بوضعك هذا لن تنال حتى الحرام بثمن بخس.
فجعلته يزأر بوجهها لما تفوهت به:
-لا شأن لك إن تزوجت أو قتلت نفسي، ولم أعد أريد العمل مع زوجك افتحي الباب ودعيني
وشأني.

فعادت لنسختها الناعمة:-سأدفع لك النقود وأساعدك لتتزوج حبيبتك صدقني أنت الرابح.
رمقها بنظرة اشمئزاز وهي تقترب منه رويداً رويداً تحاول معاودة تمرير أناملها على وجهه، لعله يستجيب معها وما إن اقتربت يدها كي تلامسه حتى تصدى لها بحركة مقاتل محترف نزيه فقد راعى أنها أنثى فتأوهت من الألم، فحذرها غاضباً:-إن لم تبتعدي وتفتحي الباب سأخبر زوجك عما فعلتيه معي.
أنستها تلك الكلمات ألم معصمها وتعالت ضحكاتها وهي تصفق له ببطء:
-أحسنت،أحسنت لكني أعتقد أنك محدود الذكاء.
فنظر لها وهو مقطب الجبين:-ماذا تقصدين؟!
فردت بابتسامة، فاقت مكر الثعالب:
-أولاً،أنت من أتيت إلي . وثانيا لن يصدق زوجي أي حرف ستتفوه به.
-أنسيتي أنه هو الذي أرسل لي رسالة طلب مني القدوم فيها.
عادت ابتسامتها العريضة ثم أخبرته أنها استغلت دخول زوجها للاستحمام ،وأرسلت الرسالة من هاتفه ،ومسحتها بسرعة وما إن خرج حتى انتهت من حزم أمتعته ،بسبب اضطراره للسفر بضعة أيام بغية عمل

هام، ثم صمتت لبرهة وتابعت حديثها بأنه لو تفوه بكلمة لصديقه ستخبره بأنه من حاول الاقتراب منها والتودد إليها بغية المال والوظيفة وعندما منعته عنها ألف هذه القصة .

فلم يستطع إلا القول:
-أرجوك، دعيني أذهب ولن أخبره عما جرى
فتنفست الصعداء ثم قالت:
-لن تذهب لأي مكان بل ستقضي معي ليلة واحدة ،وإلا ستبقى بضيافتي لحين عودة زوجي وأشهد الخادمة عليك.
وتركته واقفاً كتمثال لا يقوى على الحركة لتذهب إلى غرفة نومها تختار أجمل وأغلى ثيابها، وبعد أن توقف عقله عن التفكير طرقت أفكار غريبة عليه وبدأت تتلاعب برأسه فقال في قرارة نفسه:-إن لم أنفذ ما تريده فسوف تقضي علي بكذبها وإن نفذت فسوف أستصغر نفسي وأحتقرها.
ثم حاول حمل نفسه ليجلس على أقرب كرسي له فقد قضم هذا الأمر ظهره وتاه بازدحام أفكاره، ثم بدأ بالضياع الذهني فأقفل عقله بوجه تلك الأفكار لدقائق إلى أن اجتاحت أعاصير من أفكار لم يعتقد لبرهة أنها ستحطم باب عقله، لكن احتياجه السريع للنقود وخوفه من أن تتخلى عنه حبيبته بلحظة ضعف وترتبط بغيره ،جعل كلامها يستحوذ على عقله ويطغى على مبادئه غير أنه إن رفض ستدمر ميرا ما تبقى من الأمل في حياته . ومع ذلك كان هنالك شيء داخله يمنعه من

الإدلاء بكلمة تنم عن موافقة لما قالته، فالتزم الصمت عندما عادت له بعد مضي وقت تمشي بثقة وكأن هذه ليلة زفافها وعندما وقفت أمامه قالت له بابتسامة خبث:

-والآن أخبرني ماهو
قرارك؟.

عادل

وصل إلى منزل كان خارجه يحثه على الابتعاد والهرب بعيداً
يرتدي غطاءا أسوداً كشبح ينتظر من يلتهمه ، طرق الباب بخوف اجتاحه لأول مرة ففتحت له خادمة المنزل ودعته للدخول، فسارت به أقدامه وعينيه تترقب كل شيء يحيط بها بقلق،فقد كانت تماثيل اللبوءات السوداء تتصدر المنزل وصور الأرامل السوداء تملأ الجدران مما جعل خطواته ترتعش وما إن وصل لقلب المنزل التفت إلى الخادمة ليسألها عن صاحب المكان فرآها تقفل الباب بالمفتاح وتضعه في جيبها بهدوء فانتفض مذعورا:
- لم أقفلت الباب؟! . لكنها نظرت إليه وكأنها صماء ثم اتجهت إلى المطبخ ، فجلس على الكرسي ينتظر أن يرى المرسل المجهول وبعد مرور عشر دقائق ،وهو يمعن النظربكل تفصيل في المنزل أدرك سوداوية صاحب المكان وبؤسه ،لكنه لم يجد طرف خيط يفسر له ذلك فقال في قرارة نفسه متعجباً يحاول إخماد نار القلق:

-ما دافع أيا من أصدقائي لعمل تلك الدراما البوليسية المبالغ فيها ؟!.
وبعد بضع دقائق عادت له ذات الخادمة بكأس من الماء فعاود سؤالها عن سبب إقفالها الباب فرد بابتسامة أفعى:
-تلك الأوامر يا سيدي . ووقفت أمامه تراقب تعبيرات وجهه، فارتبط لسانه بعقدة لم يستطع فكها وكاد رأسه أن يلامس الأرض فقال في قرارة نفسه:
-لأتمالك نفسي فأعتقد أنه يراقبني
.

فجلس باعتدال وعاود سؤالها فردت بنفس الإجابة ،مما فجر بركان الغضب برأسه فارتفع صوت زئيره:
-أتظنينني معتقلاً؟! وأوشك أن ينقض عليها ليأخذ المفتاح، لكن وبطرفة عين تصدى له رجلاً وكأنه أتى من تحت الأرض لم ير منه سوى عضلات غطت الرؤية لديه ،عندما اختطف هاتفه النقال من يده ،فشعر لبرهة أن تدريباته على تقوية نفسه لم تجده نفعا وهو يرمقه نظراً من رأسه لأخمص قدميه مندهشا فعلت ضحكاته فجأة كالمجنون :
-ما الذي أتى بي إلى هنا ؟! فانسحب الرجل والخادمة ثم أسند ظهره على الكرسي وبدأ يحرك قدمه بهزات منتظمة ويلوم نفسه على المأزق الذي وضعه به، ثم أعاد النظر في أرجاء المنزل محاولا تخفيف الضغط عنه، فقد أدرك أن تلك محاولة لحرق أعصابه، فقد انتابه شك أن هناك كاميرا مخفية وأصدقاؤه مشتركين بهذا المقلب. وبعد وقت من الانتظار لم يستطع إحصاءه وضعوا أمامه ما لذ وطاب من الطعام ثم أشعلوا له مدفأة الحطب فغطت المكان بوشاح من الدفء.
تردد للحظات قبل أن يتناول الطعام لكنه خشي أن تكون هذه الوجبة الوحيدة التي سيقدموها له لحين انتهاء مقلبهم، فتناول من كل الأصناف كمحروم ستنفذ بحقه

عقوبة الإعدام بعد شبعه، وما إن انتهى حتى قدموا له كأسا من الشاي الساخن ثم القهوة كما يحب بعد طعامه فأحس لبرهة أنه في منزله لا بل سلطاناً من السلاطين.

إلى أن أخمد نار المدفأة وبدأ المنزل بخلع وشاحه ببطء، فأصبحت البرودة تتسلل إلى جسده كلص على وشك السرقة ثم سرقت منه فجأة الدفء الذي أرخى عضلات جسده فعانقت يداه بعضهما والتزقت قدمه بالأخرى في محاولة منهم لمده بخيط من الدفء، فهو لم يكترث لثيابه لأنه وضع على جسمه الرقيق من الثياب لسرعة خروجه، ثم حاول استراق النظر خارج النوافذ لتخمين الوقت لكنه لم يحظ بأي فائدة فقد كانت مغطاة بستائر سوداء ومغلقة بإحكام ، فعاد قلبه يقرع طبول الخوف وبدأ التوتر والغضب بالتملك منه فصرخ قائلاً:

-أروني وجوهكم أيها الجبناء

وصمت لدقائق ينتظر مجيب ثم عاد للصراخ مرة أخرى:

-إن كان بينكم من يمتلك الجرأة فليأتي و يواجهني.

فأتى الرجل ذو بنية العضلات ووقف خلف كرسيه ثم سمع صوت طرقات خفيفة قادمة من الطابق العلوي، وما إن اقترب الصوت أكثر فأكثر حتى أدرك أن ذلك صوت حذاء أنثى، فحاول الالتفات لمصدر الصوت، لكن الرجل الواقف خلفه أمسك رأسه ليثبت نظره إلى الأمام ، فتمالك نفسه وتنفس الصعداء ثم أتى رجلان

مثيلان للأول وقفا أمامه فأيقن آنذاك أنه سيقع فريسة للفيلة الثلاث .

وأقبلت إمرأة ترتدي فستانا مكسيا بالفراء بلون سماء ليل كالح مرصع بالنجوم ،مع حذاء يحمي نفسه من البرودة بفراء كثيف أمد عادل ببرد مضاعف، فحاول أن يرفع ناظريه ليرى وجهها، لكن رأسه كان بين قبضتي مفتول العضلات بإحكام إلى أن أومأت له كي يفلت رأسه ويرى وجهها، فاتسعت حدقتاه: -أنتي؟! ابتسمت وجلست أمامه بثقة لبوءة أوشكت على الفتك بفريستها ،ولكنه لم ينبس ببنت شفة فقد انتظر منها أن تدلو بكلمة واحدة. أحضرت الخادمة لها فنجانا من القهوة ووضعت قدماً فوق الأخرى وبدأت بحرق أول سيجارة إلى أن وصلت للثالثة قالت له وهي عاقدة الحاجبين:

-لا، لست أنا فقد مت بفضلك سابقاً وخلقت من جثتي أخرى.

وصمتت قليلا وهو مصعوق بملامح وجهها الذي كان بريء وتبدل كلياً ثم عادوت حديثها قائلة:

-ستبقى عندي لبعض الوقت وتذكر أن عضلاتك لن تجدي نفعا مع رجالي. فالتفوا حوله كالذئاب التي تحاوط الفريسة واقتادوه لغرفة في بهو المنزل التي كانت كزنزانة في سجن ،فقد وضع سياج من الحديد على نوافذها ومن غير أن يبدي أي مقاومة لهم جلس

،ومن دون أن ينطق فاه بحرف واحد

.

حسام

التقطت يده بطاقة طبيب مختص بأمراض الكلى ، فأيقن أنه لو لم يكن وضعها سيء لما أخفوا الحقيقة عنه مما زاد من ضيق قلبه ،فبدأ ينقبض متباطئا من الخوف معلناً التوقف إن لم يفرغ مقدار الألم الذي أصابه، فانسالت الدموع من عينيه عنوة عنه وتضرع بالدعاء بأن يخطفه الموت قبل أن يحرمه منها فلم يكتف من حنانها وابتسامتها. وبلحظة خلت الدنيا من كل الناس ولم يبق سواه مع ألم أرهق قلبه وكأنه تملكه لسنين ،ومع دموعه الملتهبة من حرارة وجعه لم تستطع قدماه أن تحملاه، فجلس على الأريكة يحاول منع نفسه من تخيل حياته بدونها وبدأ بالبكاء بصمت وهو يمسح بيدين مشلولتين دمعة تلو الأخرى، شعر أن كل دقيقة تمضي ببطء وتسحب منه سعادته فكان ذلك الوقت كفيلاً بأن يوقف قلبه وهو ينبض ثم جلس كتمثال بلا روح شارد الذهن إلى أن دخلت أخته المنزل ورأته مقيد العقل وعينيه ارتدتا غطاءا أحمرا مع الدموع ،وعندما سألته عن سبب ما آل إليه حاله نظر لها مقطب الجبين ومسح دموعه وتدريجيا تعالت أصواته وانفجر بوجهها كبركان غاضب:

-أتسأليني ما بي؟أمي مريضة ولم يخبرني أحد منكم؟ شل لسانها عن الحركة وهي تنظر إليه مذعورة من شكله وكأنها تراه للمرة الأولى وهو يحدق بها كأسد أوشك على قتل فريسته ثم عاود الزئير:-لماذا لم تخبريني أنت لماذا؟!

وقبل أن تفتح فمها ، دخلت أمه تلهث بعد عناء صعود الدرج على صراخ ابنها وبمجرد أن رآها عدا عدو الفهود إليها وانكب على يديها ووجنتيها كطفل كان تائها عن أمه بفيض من القبل، جعلتها تذرف الدموع وتضمه لصدرها ،وتقبل رأسه طالبة السماح أنها لم تخبره بمرضها ولم تسمح لأبيه وأخته بإخباره إلا بعض أن يمضي وقت على عودته، لأنها تعلم أنه لن يقوى على سماع ذلك . أحس بالندم يمزق أحشائه على الوقت الذي قضاه بعيداً عنها وحرم من حنانها فقد باتت مخاوفه واقع مرير وحقيقة موجعة، وأصبح كفاقدي العقول يعجز عن محاكاة نفسه كي لا تنحره بسكين الندم أكثر. أخذته أمه لسريره وجلست ليلقي برأسه على حجرها كي تلاعب خصلات شعره كأيام طفولته فخطفه النوم من بين يديها لدقائق، ففزع خوفاً من أنها خرجت وتركته نائماً فوجد يديها تعانق وجهه، وتمعن النظر إليه فعانقها وقبلها بشوق ثم استأذنها لتحضير الغداء لها فوجد أخته بالمطبخ تغوص في الثلاجة فاعتذرت منه لإخفاءها الحقيقة عنه، فسألها وهو مقطب الجبين عن وضع أمه الصحي ،فأخبرته أن حالها كان يزداد سوءاً منذ غيابه، فرفضت الذهاب إلى طبيب لأنها كانت تعتقد أنها سبب ألمها هو غياب روحها إلى أن انهارت قواها

كلياً فنقلوها للمشفى وكانت نتيجة الفحوصات أن كليتيها لا تعملان كما يجب ووضعها ميؤوس منه . حاوطت تلك الكلمات بألم اعتصر قلبه فسالت الدموع لتخفف عنه ثم تنهد ومسح عينيه قائلاً:

-سأعطيها كليتي وانتهى الأمر

فردت بابتسامة مكسورة:
-أجرينا أنا وأبيك التحاليل الطبية لكن بلا جدوى
فرد محتدا:- معي أنا ستتطابق النتائج .
وأدار ظهره لها فانسحبت لتتركه يحضر الطعام وهو يقول في قرارة نفسه:
-سأهب روحي لأمي ولن يحصل لها أي مكروه .
لم يبرح مكانه طوال اليوم بجانبها أينما تحركت في المنزل كظلها ،وكلما جلست كان يحدق بها فكادت الرؤية لديه توهمه أنها بكل أرجاء المنزل بآن واحد ، فلم يرغب أن يخرج من المنزل بذلك اليوم إلى أن أتى صباح اليوم التالي ،هرول إلى مشفى وأجرى الفحوصات اللازمة واستمر جمر الانتظار يكويه بتوتر مريض ينتظر فحوصات إصابته بمرض قاتل، إلى أن أتى الطبيب وألقى على مسامعه خبر أن النتيجة سلبية فانفجر بوجهه قائلاً:-أنت لا تفهم شيئاً
وركض خارج المشفى يبحث عن مراكز أخرى وعند ثالث نتيجة ثابتة ،أفاق من لاوعيه ورضي بالقدر لكنه لم يستطع منع شبح الحزن من مرافقته ،وقرر الاعتكاف بالمنزل مع أمه يرافقها بكل مرة تغسل بها في مشفى ؛ لم يره إلا كهفا بائسا بكل طاقمه يستقبل المرضى بضجر إلى أن صادفته تلك التي أخبره قلبه

بها فهل ستهون عليه مرار الألم على أمه أم ستكون كطيف عابر في حياته؟

نهاية الفصل الرابع

يحيى

نظر لها كأسد غاضب من غير أن ينطق بكلمة واحدة لدقائق جعلتها تجلس وتنتظر إجابته، فرمى بنظره أرضاً وتشابكت أصابعه وتنفس الصعداء ورفع نظره إليها مجدداً وسألها عن سبب خيانتها لزوجها، فردت كما لو أنها تنتظر ذلك السؤال فسرحت ببصرها بالماضي، وأخبرته أن صديقه كان موظفاً في شركة أبيها وحيث أنها تعمل في نفس الشركة كانت تقابله يومياً تبتسم له وتلقي التحية عليه ؛ تمنت لو ينظر لها لأكثر من ثانية مما جعله يخطف انتباهها، فقد كان متميزاً عن كل الشباب الذين قابلتهم، كانوا يحاولون دائماً التودد لها لأجل مال أبيها ومع استمرار تجاهله لها بدأت تسعى بالتقرب منه وكسب وده، حيث بدأت تختلق أموراً في العمل نناقشها معه لتفتح مجالاً لأي حديث ليدور بينهما ثم دعته مراراً وتكراراً لاحتساء القهوة معها، فكان يقبل مرة ويرفض أخرى وكلما كان اليأس يقترب منها كانت بسمته بوجهها عندما تحييه صباحاً كفيلة بإنعاش نبضات قلبها وبمرة أصرت على دعوته لكنه أبى القبول فأشعرته بالخجل لقولها:

-إن لم ترغب بقبول دعوتي فادعني أنت.

شعرت بسعادة تغمر قلبها بلا مثيل لها قط، وكأنه دعاها للاستجمام بأجمل بقاع الأرض، فاستغلت تلك الدعوة لتدعوه على الغداء وحددت الموعد بأفخم المطاعم فرفض بسبب غلاءه وعدم قدرته على دعوتها لمكان مثيل له وبرغم إصرارها واجهها برفض حطم قلبها، وعندما بان الحزن على وجهها أقترح دعوتها على مطعم شعبي يرتاده دوماً، فكادت أن تقفز كالطفلة وتعانقه وتقبله لكنها استطاعت تمالك نفسها بشق الأنفس وأيقنت آنذاك أنه شاب فريد من نوعه بل لامثيل له على الإطلاق ،لأنه وبرغم وضعه المادي لم يحاول التقرب منها طمعا بنقودها، فشعرت أنها غرقت بحبه وإحساسها نحوه أكثر من مجرد إعجاب، وكم تمنت لو أنه يعيرها ولو مقدار ذرة من انتباهه وقلبه، وبعد مواعدات بينهما كأصدقاء، كان يلتزم الصمت دائماً ويستمع لكل كلمة تقولها، فأصبحت تتمنى لو ينطق تلك الكلمة ذات الأربعة حروف إلى أن جاء ذلك اليوم واعترف به بإعجابه بها، فأسرعت لتقول له أنها تحبه فقد أنهك قلبها من كتم ما به وأخبرته أنها ستنتظره أن يبادلها ذات الشعور، وكما أخذ وقتا للإعجاب بها أخذ وقتا لحبها لكن ذلك الوقت جعلها تعشقه كل يوم أكثر لدرجة أنها لم تستطع أن تحصي الأيام التي أمضياها

معا فقد كان اليوم يمضي معه
كساعة.

بعد أن تكللت علاقتهما بالحب المتبادل لم يستطع كسب قلب والدها كقلبها ،وبالرغم من محاولاته إقناعها أن تنهي علاقتها به، فلم يرتح له إطلاقاً إلا أنه رضخ لقرار ابنته لشدة تعلقها به . فلم تستطع تمالك نفسها والانتظار حتى عرضت عليه الزواج منها مع ضمان موافقة أبيها فقد رأته قلقاً من الفارق المادي بينهما ، ومع كل اللقاءات لم تكن تعي أن كل ما بدر منه كان يخطط له وهو يرتدي قناعا في كل مرة يقابلها بها.
بعد مضي أشهر قليلة على زواجهما اكتشفت أول خيانة منه مع موظفة بنفس الشركة وبمحض الصدفة ،عندما أرسلت له رسالة تخبره أنها تنتظر قدومه لمنزلها فقد اشتاقت لعطره و لمساته ،وعندما واجهته اعترف لها بخطئه واعتذر برجاء أن تغفر له، وكاد أن يذرف الدموع ليثير استعطافها فهو يعلم مقدار عشقها له ونجح في ذلك فقد سامحته واعتبرت تلك نزوة عابرة ، لكنها سرعان ما عاودت الشك به لأنه اقفل هاتفه برقم سري وعندما طلبت منه أن يلغه كما كان هاتفه من قبل تشاجر معها مشاجرة كبيرة، لدرجة أنه تظلم لأبيها واعترف له بخطأ لن يعيده إطلاقاً ، وهي تمسكه ذلة عليه فلم يكن من أبيه إلا توبيخها لعلمه بتعلق روح ابنته

به، فقد باتت تتنفسه وحتى لا يشعل بركانا بينهما ويشوه حياتها الزوجية.

لكن تصرف زوجها فجر بداخلها ينابيع الشك والقلق ، فبدأت بمراقبته بنفسها وأوكلت رجالاً بذلك إلى أن أمسكت به مع واحدة تلو الأخرى واعتذارا تلو الآخر فأيقنت متأخرة أن حبه لها كان مجرد تمثيلية منه، فلم يكن منها إلا أن تتعايش مع خيانته إلا أنها لم تكن تعلم أكان ذلك التعايش نابعا من وجود بقايا عشق له أم لكيلا تشمت الناس بها.ولم يستطع يحيى النطق بكلمة واحدة مما سمع عن صديقه الذي تبدل عما كان يعرفه كمن مات داخله وخلق بدلاً منه آخر بديلاً عنه ، وبعد أن انتهت ساد الصمت بينهما لدقائق ثم نظر لها وقال بجمود: -ولم أنا؟! فردت وشرار الحقد يملأ عينيها:

-لأنك صديقه والذي سيحصل بيننا بهذه المرة الوحيدة ، سيكون انتقاماً لي منه عن كل المرات التي خانني بها.

فرد ساخراً:

-ماتلك الثقة التي تتحدثين بها وكأني قد قبلت عرضك؟!

فضحكت بصوت عال ومع نظرة مكر:

-ليس أمامك خيار آخر لأني سأثأر لنفسي إن شئت أم أبيت، ولا تقلق كل شيئ سيكون ببئر عميق.

وانسحبت لتتركه يستجمع قواه وتعود إليه لتأخذ موافقته.

عادل

عادت به السنين لزمن غروره عندما كان محاطاً بالفتيات كالهواء، حيث يدخل الفتاة لحياته بمشرق الشمس ويخرجها بغروبها لأتفه سبب كان. يتنفس كل واحدة على حدى وإن شعر بالملل كان يتنقل كنحلة من زهرة إلى أخرى بالتناوب ويوهم كل واحدة أنها الأميرة الوحيدة في حياته عندما يقابلها بساعة ويودع أخرى بعد ساعة، فاشتهر بزير النساء ومع نهمه بهن كان حلم كل من تقابله بأن تنجح بالبقاء بحياته أطول فترة ممكنة مما يعطيها الأمل بامتلاك قلبه إلى الأبد وتأخذ شهرة إنهاء مسيرته الغرامية عندها ، فقد كان يخبر كل حبيبة أنه ترك السابقة لها لطمعها بنقوده ولم تعطه من الحب ما يستحق. لحين أتى اليوم الذي رأى به خاطفته ساندي، كانت أكثرهن قوة بالنسبة لجلالته ولم تكن كأميرته بل اعتبرها جارية له كمثيلاتها لكنها مفضلة عنهن لمقاومتها سحره، فاستغل هيامها به وبدأ يفتك سم حبه بجسدها عندما لامس شفتيها بأنيابه وتدريجيا حاوط سمه كيانها إلى أن نهش كل جزء من قلبها وعقلها، وأصبحت مريضة بحبه الخبيث وماجعله يستحوذ على ثقتها عندما قال لها بكل براءة أنها زوجته المستقبلية

ولن يقترب منها إلى بعد زفافهما لتكون ليلة لاتنسى من حياتهما، فأوقف قلبها من صدمة الفرح ونوم عقلها لتطيع ما يطلبه منها وعندما تأكد أنه استطاع التمكن منها استدرجها بكل دهاء لمنزل دفع ثمن استئجاره من مصروفه اليومي وأخبرها أن المنزل للدراسة مع أصحابه ، فدعاها لرؤيته وفاجأها أنه

ألبس

الأرض غطاءا من بتلات الزهور الحمراء وأجلسها على الأريكة المريحة أمام طاولة أربكت عينيها بمحاولة تمييز محتواها فقد امتلأت بأطباق أفخم الحلويات وشتى أنواع المشروبات، وأسمعها أجمل الأغاني الرومانسية وركز على أغاني الزواج، واكتفى بعناقها وتقبيل رأسها ثم وضعه بحنان على قلبه وعانقت يده أناملها وبدأ بسرد مستقبل حياتهما ابتداءً من منزلهما لأطفالهما ،إلى عالم الأصدقاء والأهل والأقارب ،فمرت تلك الساعتين كدقيقتين عليها وتلهف قلبها للقاء آخر مما جعلها تسأله مراراً عن موعد لقاءهما الثاني ولكنه كان يتهرب منها ويتجنب تحديد موعد معها فأثار ذلك حزنها وقلقها بأنه سيتخلى عنها فسألته عن السبب، فأجابها بكل حزن وأسف مزيف أنها جميلة جداً بعينيه ويخاف ألا يستطيع منع نفسه عنها في مرة أخرى، فانفرجت أساريرها بتلك الكلمات وقالت له:

-بما أننا أحببنا بعضنا وسنتزوج فلن أمنعك عني.

فابتسم تلك الابتسامة الصفراء ورد قائلاً:

-وسيكون ذلك أجمل يوم ستعيشينه على الإطلاق.

ثم حدد لها اللقاء بعد يومين ليذهب إلى المنزل في اليوم التالي واتجه لغرفة تشريح ودفن جسدها ورسم على

بابها قلبين متعانقين بحرفي اسميهما وزين الجدران بلصاقات القلوب وزخرفها بحرف اسمها مع الكلمة التي شلت عقلها (زوجتي المستقبلية) ونثر الورود الحمراء بكل اتجاه وزين ملاءة السرير ناصعة البياض بذات البتلات مع الإوزتين البيضاوتين بقبلتين القلب ،فقد استغل شغفها بالأفلام الرومانسية ليخلق لها جوا مطابقاً وانتظر بحرارة عاشق
لقاءها.

إلى أن جاء يومها فدخلت غرفتها المستقبلية بحاضرها وسرحت عيناها بما حضر لها ،وكادت أن تقطع أنفاسه بعناق عبر عن شكرها وسعادتها بما حضر لأجلها بدون أن تنطق بكلمة، فقبل يديها ثم أجلسها برفق هامسا بأذنها أنها ستجوب العالم بين يديه بإحساس لم ولن تشعر بمثيله قط. فنومها بلمساته وشلها عن الحركة بمجرد أن كشف عن سلاحه فقد كانت تعشق التفاف عضلاته واتساق جسده، مع تتالي دعواته لها إلى قفص الزوجية المستقبلي إلى أن روى عطش رغبته بها لحد الفيضان، فبدأ بالتهرب منها وتجنب اللقاء بها لحين استطاعت أن تمسك به وتخبره والسعادة تغمر قلبها أنها تحمل طفله في أحشائها وطلبت منه أن يتقدم أهله بطلب يدها بأقصى سرعة ممكنة ليعيشوا معا بسعادة أبدية فرمقها بنظرة اشمئزاز:

-لا يعقل أني سأتزوج كل فتاة تهبني نفسها لكن خطأي أني قد استمريت معك أطول مدة من بينهن.

حولت تلك الجملة ذلك العشق الدفين بقلبها إلى بغضاء غذى كيانها، وكره شحن دمها وزاد ذلك عندما قال لها أنه سيحدد أقرب موعد مع الطبيب لإجهاض حملها.

وبعد مضي أيام لم تحصها وهي تحاول استيعاب أن كل الذي عاشته معه كان خديعة، عادت له ليساعدها على

إجهاض حلمها فذلك الجنين لم يكن مجرد حمل لها وعندها أنهى علاقته بها ككأس رماه أرضاً وتطاير بشظايا فتكت قلبها.

حسام

مع توقف الزمن عند معرفته بمرض أمه، باتت الحياة لا معنى لها ولا هدف من العيش فيها فقد جرده ذلك الخبر من تفاؤله ، ومسح تلك الابتسامة التي لم تكن تفارقه وأصبح وجهه مثالا لقلب محطم وكئيب ويائس ،والذي زاد من ألمه أنه حمل نفسه مسؤولية معاناة أمه فلو عاد بنقود كافية كان أستطاع أن يشتري كلية لأمه، وهذا جعله يحقد على الدنيا البائسة التي يحتاج بها نقودا كي يشتري حياة لأمه، فقد كانت تصارع الموت لأن تلك الجلسات كانت تؤخر من أجلها فقط؛ وبكل مرة كان يرافقها لتدخل تلك الغرفة وتسكن ألمها كانت تنسلخ روحه منه وتدخل معها، فيجلس بانتظارها بالمقهى يرتشف القهوة مع علبة السجائر التي لم تعد تفارقه منذ أن دخل المشفى برفقتها، وأصبح زاهداً بدنياه يراقب وجوه الناس ليراهم كلهم سعداء إلا هو وحتى لو رأى دموعاً بأعين أحدهم كان يراها دموع فرح. ومع كل حزنه عندما يرى أمه تخرج تاركة ألمها بتلك الغرفة كانت ترتد روحه إليه وينتعش قلبه برؤية وجهها باسما .

وذات مرة بينما كان جالساً ينتظر كالمعتاد رأى فتاة ذات خصل تنحدر على أكتافها كسيل ماء من جبل في

ليل كالح، جلست على طاولة مقابلة له فأصابت بوسع عينا غزالة شاردة عيناه لثانية ،وسرحت بعيداً فلمعتا كبريق نجمة في سماء الليل لترسخ بعقله لأنه لم يرى فيهما تلك السعادة

التي رآها بعيون الناس بل كانتا تشاطر عينيه بالحزن والألم ،ومع تتالي المرات التي رآها بها فلم يتغير كلام عيناها، فأصبح في كل مرة بمجرد دخوله للمقهى يبحث عن تلك العيون التي تشاركه همومه من دون أن تنظر إليه .

إلى أن أصرت أخته سهر على مرافقته فقد كان يريد أن يكون ظل أمه الوحيد ، وما إن جلسا حتى لاحظت أن عينيه تبحثان عن أحد من غير أن تجداه فقالت له بابتسامة ونبرة أنمت عن إحساسها به:

-عمن تبحث يا أخي العزيز؟

نظر لها بابتسامة مكسورة:

-لن أخفي عنك، أبحث عن فتاة لا أعرف حتى اسمها تجلس هنا في كل مرة آتي بها.

نظرت له وفاهها مفتوح فأقفله بإصبعه مع بسمة حزينة فقالت له:

-أتمازحني أم أنك صادق بقولك؟!

-ستخبرك عيناي عندما تأتي.

مرالوقت عليهما ولم يرى تلك الفتاة وخرجت الأم ثم هموا بالذهاب إلى المنزل، وما إن خرجوا حتى لمحها تدخل المشفى، لكن عينيه لم تكترثان لها فقد كانتا تملآن مخزون شوقهما من وجه أمه، وعندما عادوا دخل

حسام لغرفته فانطلقت سهر إليه كالغزال قبل أن يغلق الباب على نفسه

وأخبرته أنها سترافقه في كل مرة لحين رؤية تلك الفتاة فقال لها:-لم أنت واثقة من رؤيتها؟ فمن المحتمل أني عندما لمحتها اليوم كانت تلك النظرة الأخيرة.

صعقت لقوله وأخذت شهيقها بقوة:

-رأيتها اليوم ولم تخبرني سامحك الله

فضحك من رد فعلها الفكاهي:

-عيناي كانتا منشغلتين بأمي ولأجل ذلك لم تلحظي الفتاة.

فنظرت له مع صمت أطبق على فمها ،فلوح بيده ليعيدها من شرودها وقبل أن تعيد تشغيل إذاعة صوتها قال لها:

-تعالي معي ،وإن قدر لي رؤيتها ستشاهدين ذلك في بث مباشر لكن لا تخبري أحداً من الآن.

خرجت من دون أن ترد عليه بكلمة واحدة، فأغلق الباب خلفها مع الحفاظ على ابتسامته فعند أول ضحكة من رد فعل سهر جعلته يشعر أنه اشتاق لحسام القديم ،فقرر أن تلازمه البسمة ليضيف الضحك لأيام أمه كما اعتادت منه ،فخرج بعد أن بدل ملابسه ليطمئن على حال أمه كالمعتاد لحين جلسة الغسيل الكلوي التالية.

نهاية الفصل الخامس

يحيى

لم ينبس ببنت شفة بعد ما قالته ميرا، بل فضل البقاء صامتاً عن الرد بأي كلمة تنم عن موافقة أو رفض ،فمع إغواءها له بالجسد والمال حركت داخله الجانب المظلم ليطغى على النور الذي بداخله فبدأ يتسائل مع نفسه:

-لو طاوعتها سأحتقر نفسي كلما وقفت أمام المرآة، ولكن إن لم ألبي طلبها ستقتلني وأنا على قيد الحياة.

دارت تلك الكلمات داخله بكل يوم مضى أسبوع في ذلك السجن الفاخر فقد كانت تعد الطعام له بيديها وتعطه من ثياب زوجها الفاخرة بعد أن خصصت له غرفة لينام فيها ورغم انعزالهما كانا يتشاركان الأيام معا عند الطعام والشراب ومشاهدة التلفاز وعند أول مساء لهما سألته عن حبيبته ليبدأ رواية قصته لها من الألف إلى الياء متناسيا سبب احتجازه عندها. إلى أن جاء آخر مساء كان تاليه عودة زوجها فارتدت أجمل ثيابها وجهزت نفسها كعروس بليلة زفافها وعادوت سؤاله عن رأيه بعرضها، فدق قلبه طبول الخوف فأومأ رأسه بالموافقة فابتسمت بسعادة لم تشعر مثيلها حتى عندما اعترف زوجها بحبه سابقا، فأمسكت يده وذهبت

به لغرفتها لكنه لم يستطع أن يرفع رأسه عن الأرض ويجبر عينيه على النظر إليها ،فقد كان قلبه يوشك أن يتوقف عن النبض ويتمزق أشلاء من شدة الخفق

وهي تنظر له بحنان ودهشة لحاله فلم تتوقع أن أي شاب عرض عليه ماعرضته هي سيقف أمامها وكأنه الفتاة،

فأغلقت الباب واقتربت منه رويداً رويداً فلم يكن منه إلى أن دفعها بشدة ليفتح الباب ويخرج فلحقت به وهي تناديه، فوقف أمامها مقطب الجبين ونظر إليها بثقة ملك من ملوك الأساطير ثم بدأ قلبه بالهدوء والاسترخاء قائلاً:

-لن أخون حبيبتي وصديقي معك ولو أعددت المكائد لي فافعلي ما تشاءين.

اتسعت حدقتا عينيها ثم ابتسمت بمكر قائلة:

-سأجعلك تتعفن في السجن لأنك ستحرمني من لذة الانتقام، ولن تتحمل الوجع الذي ستعانيه فستنهي حياتك بيدك.

رد بابتسامة مكسورة: - إن حياتي انتهت بموت والداي وإن خسرت حبيبتي ،فستحب غيري وتكمل حياتها بسعادة .

امتلأت عيناها بالدموع ثم أجهشت بالبكاء فقد تمنت لو أحبها زوجها مثلما أحبته وتحلى بأخلاق يحيى، ثم أتجهت إلى الباب وعيناه تراقبها بتوتر فتوقفت عن البكاء فجأة ومسحت دموعها ثم فتحته لتطلق سراحه

وأخرجت هاتفه النقال من صدرها وأعطته إياه وبعد ذلك قالت له:

-اطمئن، وكأن شيئاً لم يكن سامحني أرجوك.

نظر لها بدهشة ثم تنهد بعد أن أزاحت الصخرة التي أطبقت

على قلبه وقال مبتسماً:

-لقد أحببته بصدق، فلا يجب أن تلطخي حبك بقذارة الخيانة ،بل يجب أن تنأي بنفسك عن ذلك، لأن الأفعال الرديئة لا ترد بالمثل .
ابتسمت وعاودت اعتذارها منه ،ثم طلبت أن يعرفها بحبيبته كي تصادقها ويتبادلون الزيارات فيما بينهم فرحب بذلك ووعدها بأنها ستكون أول المدعوين لحفل زفافهم، ثم ودعها وعاد أدراجه لصديق أبيه بعدما فتح هاتفه ورأى رسالة من زوج ميرا أخبره بها أنه لا يوجد شواغر في الشركة وعندما يجد سيتصل به مباشرة.
وصل لدكان البقالة فرآه جالساً مع زوجته فابتسم يحيى بسعادة ونسي الرعب الذي عاشه بلحظة رؤيتهما ،فقد كان ذلك المشهد يراه منذ نعومة أظفاره وهما جالسان يحتسيان كأسين من الشاي، وقبل أن يدعواه للجلوس جلس معهما وكأنه لم يفارقهما يوماً وسأله عما إن وجد له عملا فاعتذر منه بنبرة حزن ووعده بالاستمرار بالبحث، وبجو صامت مر أسامة وعندما رأى يحيى حاول كتم غيظه بقناع ابتسامة الثعلب ،ثم دعاه على المنزل لتناول الفاكهة كونهما لم يجلسا بمفردهما ويتبادلان أطراف الحديث كالأصحاب، فسعد يحيى لما سمع لأن أسامة لم يرغب يوماً بالحديث معه أكثر من

خمس دقائق مما أثار دهشة والديه

فتمنيا أن تتوطد روابط الصداقة بينهما لعل ابنهما يأخذ بضعا من خصال يحيى ؛ وعندما صعدا إلى المنزل قدم له طبقا من الفاكهة وشرعا يتبادلان الحديث عن مباريات كرة القدم وبعد أن انتهى يحيى استأذنه ليدخل إلى الحمام

فانقض أسامة على السكين التي كانت بيد يحيى ليخفيها بخزانة ملابسه خشية أن يعود ويأخذ الأطباق ويغسلها،

ثم أسرع لإعداد القهوة كي لا يستغرق يحيى وقتا أطول بجلوسه كونه لا يعتبر أن زيارته انتهت بدون شرب القهوة، وأكملا مشاهدة التلفاز وأسامة يحترق من مجالسته ويتمنى لويرمي به خارجاً كما يرمي اللاعب كرة القدم في الملعب، وما إن انتهى من شرب القهوة حتى استأذنه يحيى بالرحيل فبدت السعادة على وجه أسامة بذهابه فعانقه عند الباب وأغلقت الباب خلفه ليتنفس الصعداء بعد عناء التمثيل . أثناء عودته للمنزل اتصل بحبيبته على أمل ردها عليه لكن بلا جدوى وقبل أن يتسرب اليأس لقلبه عاودت الاتصال به فكاد أن يقفز بمنتصف الطريق فأجاب عليها ثم سرح بذلك الصوت العذب عن كل شيئ حوله

وهي تناديه فعاد لرشده وحياها لتبادله التحية بصوت تغيرت موسيقاه لنغمة لم يعتد سماعها ثم أخبرته باقتضاب أن أبيها يدعوه لتناول الغداء معهم غداً .فأجابها بلهفة أنه سيكون عندهم بالدقيقة المحددة التي يتناولون بها الغداء ثم اعتذر عن إقفال هاتفه ، ووعدها أنه سيخبرها السبب عندما يلقاها ، لكن عندما ردت بلا ببرود الثلج: -ومن أخبرك أني اتصلت بك قبل الآن؟ شل لسانه من ردها ، وقبل أن ينطق بكلمة واحدة ، أنهت المكالمة بعد أن أخبرته أنها ستتحدث معه عندما يأتي . مع أنه كاد أن يبكي لما قالته لكنه تمالك نفسه ليقينه بحبها له وأن ردها نابع من ضيقها، وأنها لم تره إلى الآن، ثم عاد لمنزله بعد أن أمضى ساعتين يمشي في الطرقات وجلس في مقهى يراقب الناس بصمت. اتصل بصديقه حسام لكن هاتفه كان مغلقا فتذكر أن هذا وقت نومه، فقرر الاسترخاء والخلود إلى النوم لكي يكسب يومه من إشراق فجره يبحث عن عمل ثم يذهب لعشق حياته لكنه لم يدرك ما كان يحاك ضده وما الذي ينتظره.

عادل

دخلت ساندي للغرفة التي احتجزته بها فرأته مستلقيا على الفراش وعندما رآها جلس من غير أن ينطق بكلمة واحدة منتظراً منها أن تقول أي شيء، فجلست على كرسي مقابل للسرير ونظرت له بعينين امتلأتا بحقد عمر كامل، ثم أخبرته أنها تصرفت معه بالمثل عندما جعلها تعيش أياماً أحلى من العسل ورماها فجأة في النار وهي بدورها جعلته يعيش مثلها عندما أشعرته بالدفء ثم غطته بالبرد وصمتت لبرهة ثم تابعت حديثها وأخبرته أن الذي زاد من شغفها للانتقام منه أنها وسط انهيارها النفسي بعد أن أرغمها على الإجهاض لم تستطع أن تخفي عن أهلها حقيقة ماحصل معها وسبب الألم الذي آل بها إلى البكاء الهستيري لدرجة أنهم أحضروا طبيبا حقنها بالدواء المهدئ والمنوم إلى جانب الأدوية المهدئة، فأصيب أباها بأزمة قلبية جعلته يمكث في المشفى أياماً قبل أن يفارق الحياة مما زاد من بغضها وبعد فترة من عناءها أرغمت على الزواج من رجل يجايل أبيها لكن عظامه المصنوعة من الذهب دفنت بعد سنة واحدة من زواجهما ،وصمتت لكيلا تخونها عينيها أمام من دمر حياتها وأسرعت بالخروج

ثم أقفلت الباب عليه فأحس فجأة ببشاعة ما اقترفت يداه
ولم يصدق كيف كان مجرداً
من

إنسانيته لدرجة أنه دفنها وهي على قيد الحياة لذنب ارتكبته وهو أنها أحبته بصدق آنذاك ،وتمنى لو أن الاعتذار يخفف من آلامها لكن ما ألحقه بها لا يعتقد حتى السنين ستستطيع محوه من قلبها .

بعد أن ذهب أثر الصدمة التي هزت كيانه استيقظ على صوت أمه تناديه لتناول الطعام فقفز من فراشه كمن تلقى صفعة على وجهه تخبره بأن ذلك كان حلماً فتسارعت نبضات قلبه وركض مسرعاً ليفتح الباب لكنه تذكر أنه لن يستطيع الخروج وبدأ يطرق على الباب ويصبح كالمجنون:

-افتحوا الباب، أخرجوني من هنا، ساندي.

لكن ما من مجيب، فحاول فتح الباب بدفعه بجسده لكنه كان كم يحاول تحريك الحائط إلى أن يئس وجلس يلهث وبحثت عينيه عن قطرة ماء فقد جفت شفاهه لكنه لم يجد فغرقت عيناه بالدموع وكان ذلك كفيلاً بقتله فعيناه لم تدمعا قط .

فجأة فتحت ساندي الباب وهي محاطة بالرجال الثلاث ونظرت له بابتسامة أفعى وهي تروي عيناها بتمزيق روح فريستها: -أتبكي يا قلب أمك؟صدقني لم تر شيئاً بعد .

رد بصوت فضحه أنه على وشك البكاء:
-ماذا تريدين مني ؟ولم تحتجزينني هنا؟!
ردت ساخرة:-أريد أن أرد إليك جزءا من السعادة التي منحتني إياها بعد أن تخليت عني
-أنا آسف، آسف أعتذر إليك أشد اعتذار وإن كنتي تريدين نقودا سأعوضك.
ردت بقهقهة :-نقودا!؟ ألا ترى أيها الأحمق النعيم الذي أحيا به ،أستطيع قطع أنفاسك ببركة من النقود.
ثم صمتت لبرهة لتعاود حديثها وأخبرته بصوت يستشيط غضبا وهي تطحن أسنانها بأنه كما تلوع أهلها بسببه فعلت ذات الشيئ مع أهله ،واتصلت بوالدته وأخبرتها بأن ابنها مخطوف وتريد فدية لروحه وإلا سترسله قطعا صغيرة.
أصابه الجمود لما قالته وهب من مكانه لينقض بيديه على عنقها ولكن قبل أن يخطو خطوة نحوها هرع رجالها وطرحوه أرضاً ،ثم أبرحوه ضربا ، وبعد أن ضربوا كل جزء بجسده ، أمرتهم بالتوقف وطلبت منهم أن يرفعوه ليضعوا رأسه عند حذاءها ويقبله، فقبله خشية من أن يكمل الفيلة ضربته فلم يعد يقوى على الحراك. ثم قالت له : -والآن حان وقت الألم الجسدي

ليرافق ألمك النفسي
ويسانده.

ثم خرجت لتتركه منهكا بعد أن كسرت بداخله صورة ذلك الشاب الوسيم وتمكنت دموعه منه وخانته لتلامس لحيته السوداء وهو يرتعش خوفاً من أن يحصل أذى لأمه بسبب ما اقترفت يداه ، ثم أجبر نفسه على النهوض عن الأرض وتمدد على السرير الذي لا يوجد سوى فارق بينه وبين الأرض، ولم تمض ساعات حتى تلونت بيض وجنتيه بالبقع الزرقاء، ثم أدخلوا له طعاماً لا يكفي لسد رمق قط جائع ودخلت لغرفته ومع نظرات الحقد المسمومة بدأت تخمد نار حقدها بما آلت إليه حاله ومع أنه لم يكن يريد الطعام، لكنها أدخلت رجلين ليمسكه واحد ويجبره آخر على تناول بضع لقيمات مع رشفات ماء، ثم سألها عقب ذلك:

-من أين علمت أني أبحث عن فتاة ؟!

فكان جوابها كسهم اخترق قلبه وأحس بخذلان قضم ظهره.

حسام

جاء موعد الجلسة التالية، فاستعدت سهر وكأنها ستقابل حب حياتها قبل الساعة المحددة ،وعندما رآها حسام ابتسم من قلبه بإصرار أخته الذي ولد معها ورافقها منذ الصغر حيث أنها عندما علمت بأمر تلك الفتاة لم تكف يوماً عن الإلحاح لكي يصفها، وعندما حاول أن يتجاهلها أطبقت كفيها وهي ترجوه أن يخبرها حتى بلون بشرتها أو أي تفصيل فيها ،وهو يكتفي بالنظر إليها ضاحكاً ليزيد من نار فضولها، التي لم تنطفئ إطلاقاً فقد ازدادت اشتعالا عندما دخلا المقهى وهو يحرك رأسه يميناً ويساراً رافضاً إجابتها ،وقبل أن ينفذ صبرها وتنفجر غيظاً من كتمانه توقفت عيناه فجأة على فتاة دخلت كمغناطيس جذب ناظريه لتوقف انتباهه عندها عندما جلست أمامه، فتأكدت أنها من خطفت انتباه أخيها وتمنت بأن تكون السبب بسحب أخيها من دوامة الحزن العالق بها. وبعد مضي دقائق من إمعانه النظر بوجهها طرقت سهر على الطاولة بأناملها لتعيده لوعيه فانتفض مذعورا، وقال لها مازحاً:

-ماهذا يا ابنتي؟!الترأفي بحالي وتهدئي ودعيني أكمل جلسة التأمل.

ضحكت من قلبها ثم صمتت لدقائق وسرحت بخيالها تطهو فكرة ،لكنها نضجت بسرعة بالغة، فانتفضت من مكانها، واتجهت لتلك الفتاة ، ثم ألقت التحية عليها فصافحتها بابتسامة مكسورة ثم دعتها سهر لاحتساء القهوة معهما فكانت كمن

وجدت أحداً يجالسها بصحراء قاحلة، وبتلك الأثناء كان يطرق قلبه طبول القلق خشية أن تندفع بتصرفاتها الطفولية وتقول لها:-أخي معجب بك. وعندما وقفتا أمامه أخبرته سهر أنها دعتها على القهوة فصعق لما فعلت أخته لأجله ،ولأن عينيه التقتا وجها لوجه بعينيها نظر لها لا شعوريا ببسمة بلهاء وبعينين جامدتين من أثر الصدمة أضحى شكله مهرجا، فذهبت

سهرلتحضرالقهوة وتفسح المجال له، وبالخطوة التي أقدمت عليها شعر أنها كمفتاح فتح له باب الحب ومع أنها حاولت أن تتأخر قدر المستطاع ،لكنه لم يستطع الكلام فقد كانت الفتاة حزينة العينين تسرح بنظرها أرضاً لدرجة أن من يراه يعتقد أنها تحاول حفظ كل تفصيل فيها ،وهو بكل دقيقة يحاول أن يمنع عينيه عنها لتعاودا النظر إليها عنوة عنه ،فكان يرى ملامح وجهها وعيناها تقولان له : لا تقول كلمة واحدة فلا أرغب بالحديث . وكلما اقترب أن يقول كلمة كان يتراجع

بمجرد النظر إليها فاكتفى بالسؤال عن حالها فردت:-
بخير

بدون أن تكلف نفسها عناء النظر إليه لحين عودة سهر بثلاث اكواب من القهوة، وما إن جلست ووزعتها عليهم حتى اندفعت من عيني الفتاة دمعة أربكت حسام وسهر فسألاها عن سبب بكائها، فاعتذرت منهما ثم مسحت دمعتها وانسحبت مسرعة من غير أن تنطق بكلمة واحدة ،وبعد مضي وقت على ذهابها واقتراب موعد خروج أمه لم يتكلم إطلاقاً إلا مع نفسه ببضع كلمات :

-ياترى ما سبب حزنها وما اسمها ؟

ثم سرح بخياله حتى نسي أن أخته تجلس برفقته إلى أن نادته فانتفض قائلا :-نعم ؟ آسف . فابتسمت بخيبة أمل :

-أتفكر بها ؟

-أتسائل عن السبب الذي أوصلها لهذه الدرجة من الحزن من المؤكد أن مكروها حصل لأحد تحبه .

ثم نظر للساعة فكان موعد خروج أمه قد حان فعدا كالفهد قائلاً: -خرجت أمي. فلحقت سهر به ثم أخذاها إلى المنزل ، لكن حسام بهذه المرة بات ينتظر موعد الجلسة التالية للقاء الفتاة الحزينة ، فقد حفر وجهها بئراً في رأسه لكيلا يفارق خياله، فأصبحت تشغل حيزا من

تفكيره كادت أن تناصف أمه مما جعله يشعر أن نصف روحه معها.

نهاية الفصل السادس

يحيى

جاء الوقت الذي حلم به، فاستعد قلبه للطيران وعيناه للرقص وشفتاه للبسمة فرحا برؤية وجهها، دق الباب ففتح والدها ببسمة مصطنعة، ورحب به ثم دعاه للدخول، لكن يحيى عانقه بلهفة ودخل يترقب إشراقة وجهها في أي لحظة ،فجلس وعيناه تحلق بأرجاء المنزل لعلها تصيب عينيها وترتمي بأحضانها. مضت الدقائق وهي تعادل سنين فراقها إلى أن أطلت من غرفتها مرتدية ثوباً أغمق من لون عينيها السماوي مما زاد من إشعاعهما ،فأنار وجه بياض الغيوم عتمة قلبه، فوقف مبتهجا ليصافحها فمدت يدها وكأنها تصافح متسولا قذر مع بسمة مشمئزة، جعلته يجلس مرتبكا من تعابير وجهها التي لم يعهدها قط ،لكنه عاود مواساة نفسه مرة أخرى بأنها لا تعلم ماهي الظروف التي اعترضت طريقه، وأنها ستعود لسابق عهدها عندما يروي لها ما حصل. ساد الصمت بينهما لدقائق حيث فضلت أن تجلس تراقب الأرض وتتمنى لو تقذفها بعيداً عنه ويداها تعانق بعضهما وتلتف قدمها فوق الأخرى وهو ينظر إليها بصمت ويتمنى أن ترفع نظرها

طواعية منها ليشعر أنها تشتاق إليه كالسابق فقطع شرودها قائلاً:-اشتقت إليك.
ردت بدون أن تكلف نفسها عناء النظر إليه:-شكرا.
فرد بعينين تشعان عشقا وشوقا: -أرغمت على إقفال هاتفي منذ أيام وأريد إخبارك بالسبب لعلك تعودين كما كنت.
فأطلقت كلماتها كالرصاص الحي الذي مزق كيانه:
-لماذا أنت مصر أني حاولت الاتصال بك سابقاً؟!
الأمس كانت أول مرة وأنت أجبت
بسرعة.

ثم انتفضت من مكانها لتساعد أمها في تحضير الغداء مما جعل أباها ينضم إليه، وما إن جلست معه حتى فتح حسام الباب ودخل ليجد صديق روحه ،فأسرع إليه كالبرق وكادت أضلاع يحيى تستغيث من شدة العناق، ثم جلس يعاتبه على إقفال هاتفه في الأيام السابقة وعدم قدومه لزيارتهم حال عودته فأجابه بابتسامته المكسورة:
-إن قبلت سهر أن تصغي إلي سأخبركما معا.
سهر؟ولم لا تقبل ؟ لا عليك فلا تستطيع أن تتكهن كيف تفكر الفتيات، آسف يا أخي لم يكن عندي وقت لأحادثها لأجلك فقد انشغلت بمرض أمي.
جمد الدم في عروقه ووجهه خوفاً على أم حسام فقد كانت له كأمه الثانية :-أمي؟! ما بها؟ أين هي ؟.
فهدأ حسام من روعه وقص عليه ما حصل فغرقت عينا يحيى بالدموع وما إن أقبلت أمه ترحب به ،حتى أنطلق نحوها وقبل يدها وجبينها وتمنى لها الشفاء العاجل، فرحبت به ودعته للجلوس ريثما تنتهي سهر من وضع الأطباق على المائدة. انتهوا من تناول الطعام بجو مشحون بالتوتر فشعر يحيى أن ضربات قلبه مضطربة فقد افتقد الألفة التي كان يشعر بها في الماضي عندما كانوا يجتمعون على المائدة، فأومأ حسام لوالديه كي

يتركوا يحيى وسهر بمفردهما، وقبل أن ينطق يحيى بكلمة واحدة نظرت إليه وهي عاقدة الحاجبين:

- لا أشعر بالراحة بعلاقتي معك ولا أجد مستقبلا لنا معا، فأمهلني بعض الوقت لأخبرك إن كنت سأكمل معك أم لا.

تباطأت ضربات قلبه وآلمته حزنا لما سمع وأحس أن مخاوفه باتت محتومة واليوم المشؤوم لفراقه عنها آت، وهي تمدد الوقت فقط لإرضاء عائلتها، فنظر لها بتوسل ألا تسلبه سعادته ورد بصوت يختنق:

-أتريدين قتلي؟ إنك الهواء الذي أتنفسه.

رمقته بنظرة اشمزاز وكأنها سمعت منه أقذر الشتائم وانتفضت من مكانها لتذهب لغرفتها ،ثم أغلقت الباب وكما لو أن صوت قذيفة صاروخية هزت المنزل بصوتها ، ذعر والديها وحسام الذي هرع إليهما مذهولا ليرى ما حصل فكاد رأس يحيى أن يلامس الأرض وهو جالس على الأريكة ويضع يديه على عينيه كي يخفي دموعه فجلس حسام بقربه وحاول تهدئته فوضع يده على كتفه وقال كلمات لم تشعره بالطمأنينة ولو بمقدار ذرة:

-لا عليك يا صديقي، دعها تأخذ وقتاً فهي تحبك وعندما تعيد ترتيب أفكارها ستوقن مشاعرها نحوك وتعاود الاتصال بك.

لم يرد يحيى بكلمة فقط اعتذر منه وعيناه تتكلمان عنه وتتوسل له بأن يقنع أخته أن تبقى معه ،وهم بالرحيل ليعود أدراجه والألم يعتصر كيانه: -كيف استطاعت أن

تلفظ تلك الكلمات مرة أخرى، أيعقل أن حبي مات بقلبها؟!
أخذ يجوب الشوارع والطرقات مغيب الذهن لعله يخفف ما حل به من ألم لكن قلبه لم يهدأ، فقرر الذهاب إلى المنزل لكيلا ينهار من البكاء أمام الناس ومن لحظة وصوله بدأ يراقب هاتفه لعل حسام هدأ من توترها واستطاع إقناعها بأن لا تتخلى عنه.

عادل

وهي تروي عينيها من عطش رؤيته يتألم ومع أنه أمامها لا حول له ولا قوة فقد كانت تجيبه عن أسئلته لتزيده ألما ولوعة، فأخبرته أن صديقه هاني الذي لجأ إليه أخبرها عما يبحث عنه وساعدها بوصولها إليه فهو المرسل المجهول الذي اقتاده كجرو جائع إلى المطعم ،ثم إلى منزلها فكان ذلك الخبر كالصاعقة التي اخترقت كيانه فسألها عن سبب خيانته للصداقة التي جمعتهما، فأعادته بذاكرته للحفلة التي نظمها هاني بمنزله حين أعطاه قطعة من المواد المخدرة فرمقه بنظرة ازدراء جعلت مخزونه من الحقد تجاه عادل يصل لحد الفيضان، فبسبب تمثيلية حب عادل وخطف قلبها جعلت هاني يخشى الاعتراف بحبه لها فقد علقت في شباكه ولن تصدقه إن أخبرها بنوايا عادل بسبب الفارق بينهما ،فستتهمه بالغيرة منه فقرر دفن مشاعره في أعماق الفناء ومحاولة الثأر من عادل عندما تسنح له الفرصة بذلك.

لم ينبس عادل ببنت شفة ولم يستطع عقله استيعاب الكم الهائل من الصدمات بعد حياته التي قضاها براحة البال ،فتركته يتألم نفسياً وجسدياً لتعود له بجرعة ألم شديدة

عندما قالت له أنها عادوت الاتصال بعائلته، وكانت الفاجعة عندما علمت أمه بخبر اختطافه أسرعت وعقلها مغيب عن وعيه لمركز الشرطة فألقى قدرها بها تحت إطارات سيارة مسرعة جعلتها تدخل بغيبوبة بلا أجل مسمى ،وتمكث في المشفى في عداد الموتى فطلبت توأمه مهلة إضافية بسبب وضع أمها ووعدت بتأمين المبلغ حالما تستطيع الوصول لأبيها

.

لكن ساندي هددتها بأن تقديم بلاغ للشرطة سيكون كفيلاً بإنهاء حياة ابنهم وكرما منها و لأخلاقها العالية وافقت على تمديد المهلة أياماً آخرى، وبعد أن زفت له الخبر المفرح لها لأنها حطمت أهله كما فعل بأهلها جعلته يذرف شلالا من الدموع بصمت قاتل. مضت الأيام عليه كسنوات وكلما يرحل يوم كان يشعر أنه يقربه من الموت، فتحترق أعصابه لتحرق كل أحشائه فلم يقو على فعل شيء لأنه كلما حاول الصراخ كانت ترسل إليه رجلين كي يهدئا من روعه بركلات وضرب مبرح حتى يعجز لسانه عن الخروج من فمه ،فلم يجد مخرجا إلا أن يتغيب عن واقعه ويضيع في عالم خياله مع حبيبته المجهولة فقد كانت تزور خياله وتهدئ من روعه وتطمئنه بأنه سيخرج مما هو عليه وأنها بانتظاره إلى ذلك الحين، فأصبح يعيش معها كل التفاصيل من لحظة دخولها منزل الزوجية بالفستان الابيض ،فكانت إطلالتها كاملة كفتاة أحلامه، ملاكا أبيض بوجه كنقاء المياه العذبة مع خصل الشمس الذهبية ؛ ومع إنجابها طفلة بنسخة عن طفولتها أضحى ملكا إلى جانب ملكته وأميرته ،لكن خاطفته كانت تعكر صفو أحلامه وتطرق باب أفكاره دوماً لتعيده لواقعه المجهول الذي كاد أن يفقد الأمل بالخروج منه، وبعد

أيام لم يعلم عددها دخلت الغرفة لتجده مستلقيا على فراشه شاخص البصر فنادته مرات عدة ولكنه لم يبد أي حراك فانتفض قلبها ثم اقتربت منه ووضعت يدها على قلبه لتتحسس نبضاته فأمسك يدها محاولا كسرها وهو يغلق فمها باليد الأخرى ثم رماها أرضاً وأسرع بالهرب خارج الغرفة

فلاقى

حتفه حيث التقطه معذبوه وألقوا به أرضاً مع ركلات ولكمات ثم حملوه كخروف يلفظ أنفاسه الأخيرة إلى سجنه مرة أخرى حيث كانت ساندي تشتغل غضباً ليتلقى منها صفعة جعلت شرار الألم يتطاير من عينيه ثم أقفلت الباب عليه وأعادت فتحه عندما أدخلت هاني ليمتع عينيه بما آل إليه حاله، فوقف أمام عادل بابتسامته الحقيقة بعد أن خلع قناعه المزيف:

-لو ربحت ثروة أبيك لم أكن لأشعر بمثل هذه السعادة.

نظر له عادل وهو مقطب الجبين كأسد جريح يتمنى الانقضاض على فريسته:

-صدقني ، لن أرحمك.

فتعالت ضحكاته قائلاً:

-حتى وأنت رث المظهر ،لم تتخلى عن عجرفتك وغرورك.

ثم سار باتجاهه خطوات هادئة وأعطاه لكمة كادت أن تكسر فكه فتعالت أهاته من الألم فأكمل هاني كلامه:

-هذه هدية من قلب كل أصدقاءك فلا يقل حقدهم عليك عن حقدي، فعلاقتنا بك كانت لاستغلال غرورك لصالحنا.

تمزقت روحه من تلك الكلمات إلى جانب صراخ كل جزء بجسده من الألم فلجأ إلى الحديث في سرارة نفسه:

-ألهذا الحد كنت أعمى البصيرة ولم أعي العقارب التي كانت تحاوطني بابتسامة الأحبة ؟!.

جلس هاني مبتسماً يمعن النظر بعادل بعد تلك اللكمة التي فرغ بها شحنات الغضب ، فسحبت هاتفه كمسدس والتقط له صورة كطلقة أصابت قلبه، فدخلت ساندي كي تشبع عينيها من ألمه وهي تقول:

-إن أمك تصارع الموت ويكفيني ما أذقتك من ألم ودموع لك ولعائلتك، وبذلك أكون قد انتقمت لي ولعائلتك.

فلم تجد منه ردا سوى الدموع التي باتت تنهمر بلا إرادة منه ،ثم أمرت رجالها المقنعين بوضعه مقيدا بحظيرة خيول منزل جيرانهم ،حيث أنها كانت تعلم بعودتهم في اليوم التالي ،وكانت قد حجزت تذكرتي طيران للسفر العاجل مع هاني وحزمت أمتعتهما بعد ساعتين. كان وضع عادل يرثى له فقد ذاق من العذاب النفسي والجسدي مالم يذقه بحياته واكتفى ذلك بتدمير ما تبقى داخله من ذلك الشاب الغني المدلل . مرت تلك الساعات عليه كألسنة اللهب تحرق أحشائه إلى أن وصل أصحاب المنزل ليطمئنوا على خيولهم فرأوه مقيد اليدين والفم فسارعوا بفك قيوده وقاموا بالاعتناء به بضع ساعات ،ثم أوصلوه إلى المنزل وعندما لم يجد أحداً اتصل بأخته لتعلمه بأي مشفى تتواجد أمه ، ومع كل ألمه ناضل ليصل إليها ولم يكترث لأن يبلغ الشرطة عن خاطفيه، فقد كان شعوره بالذنب وتأنيب ضميره بأنه السبب بما حصل لأمه استحوذ على كيانه، وما إن رأته أختيه حتى هرولتا إليه وعانقتاه مما جعله يتألم بصمت من عناق الزهور لما ألم بجسده من كدمات ثم سأل توأمه عن وضع أمه، فأجابته بأن الأطباء ينتظرون منذ أيام أن تبدي أي تحسن على العلاج . حاول أن يتمالك نفسه أمامهما لكن دموعه انهمرت

عندما سألتاه عن خاطفيه ثم أومأ بيده كي تصمتا .وبعد مضي وقت عادوا إلى المنزل ليأخذوا قسطاً من الراحة والنوم ويعودوا إليها في اليوم التالي للاطمئنان عليها لعل قلبها يشعر بقرب روحه منها ويعود إلى الحياة من جديد.

حسام

بعد استقرارها بخياله واستحواذها على تفكيره بدأ يصاب بالعدوى من فضول سهر، فبعد أن حضر الطعام لأمه وأعطاها الأدوية المعتادة ارتدى ملابسه وهم بالخروج للذهاب إلى المشفى لعله يراها فقد أتاه شعور مباغت أن عليه ألا يوكل رؤيتها لصدفة تجمعهما. أمسكت به سهر متلبساً وهو يرتدي حذائه خلسة فأثار فضولها لندرة خروجه من المنزل إلا للضرورة، فركضت على رؤوس أصابعها وعندما وصلت خلفه قرصته من خاصرته، فتعالت ضحكاته فالتفت وردها أضعافاً فسقطت أرضاً من الضحك ،فتنبها فجأة أن أمهما تأخذ قسطاً من الراحة فقطعا صوتيهما وتنفسا الصعداء، ثم رمقته بطرف عينها وقالت بصوت كاد أن يسمع: -إلى أين أنت ذاهب؟! فرد مبتسماً: -ولم نظرات الشك ياعزيزتي؟! سأعترف عند عودتي إلى اللقاء.

وما إن أدار ظهره حتى أمسكت يده وشدته إلى الداخل :

-على جثتي، لن تخرج قبل أن تخبرني.

حاول جاهدا أن يخفض صوت ضحكه وهو يبعد يده من قبضتها: -دعيني لأخبرك ، ذاهب لرؤية الفتاة الحزينة.
وخرج كالفهد كيلا تنهال عليه بأسئلة أخرى وتعيقه عن رؤيتها، فأخذته أقدامه إليها وهو لا يدري إن كان سيقابلها مرة أخرى أم المرة السابقة قد كانت الأخيرة.
وما إن وصل إلى المقهى حتى بحثت عيناه بكل أرجاء المكان عن العينين الدامعتين فوقعتا على الشلال الأسود الذي يرتمي بأحضان أكتافها فسار باتجاهها محاولا تجاهلها وجلس على
الطاولة

التي تقابلها ونظر إليها راسما على وجهه ملامح الدهشة من الصدفة التي جمعتهما مجدداً ، ولكنه لم ينجح بادعاءه فقد فضحه تلعثمه عندما ذهب ليلقي التحية عليها ويسألها عن حالها ،فابتسمت بسبب ارتباكه ودعته للجلوس معها ثم شكرته على القهوة في المرة السابقة ،واعتذرت منه لذهابها بتلك الطريقة لكن بدون أن تذكر السبب. ساد الصمت بينهما لكن في هذه المرة كان هناك شيئ ما في عقله يحثه لردع الصمت الذي يحاول قتل أي حوار يمكن أن يخلق بينهما فسألها بابتسامة مرتبكة:

-لماذا أنت حزينة؟، أقصد ما هو سبب حزنك لدرجة البكاء.

نظرت له بدهشة من سؤاله فأحس بالخطأ الذي ارتكبه بتطفله عليها ، فسارع بالاعتذار عن تدخله في حياتها الخاصة مما أثار إعجابها لاهتمامه بها ولم يجلس معها إلا مرة واحدة فردت بنعومة ابتسامة الأطفال :

-لاعليك، وشكرا لسؤالك لكني لا أشارك أحداً لا أعرفه بحياتي الخاصة .

ابتسمت عيناه لصراحتها التي تشبهه بها وفهم من كلامها أنها ترحب بصداقته، وبلحظة لمعت برأسه فكرة أن يتصل بأخته أمامها ،ويختلق حوارا يستطيع من

خلاله أن يأخذ رقم هاتفها، كي يستطيع التواصل معها ولا يترك لقاءها للقدر:

-لقد قابلت الفتاة التي دعوتيها على القهوة وتمنيتي لو أستطعتي مصادقتها.

وببرهة فهمت ماذا يريد أخيها فطلبت أن يعطيها الهاتف لتلقي التحية عليها، ثم سألتها عن اسمها ورقمها فصمتت وهي تنظر لحسام ببسمة ونظرات أصابت قلبه وهي تقول

له: -فهمت غايتك فلا داعي لذلك. ثم صعقته بردها سأرسل
لك رقمي مع أخيك، نظر لها جامداً بدون أن ينطق بكلمة فأنهت الاتصال وقالت: -لم لا تصارحني بأنك تريد رقمي بدل من محاولة توسيط أختك؟!
فاعتذر لها ثم قال:- لأنك قلت أنك لا تحببين مشاركة أحد تعرفينه لأول مرة بحياتك الخاصة فخشيت أن يزعجك طلبي.
-وكيف سيكون هناك مرة ثانية إن لم نتواصل ؟
شعر أن جرأتها مغناطيسا يجذبه إليها فصمت وهو يمعن النظر بوجهها وهي مبتسمة وتنتظر منه أن ينطق بكلمة ، فلوحت له بيدها لتعيده إلى الحديث فضحكا معا ثم اعتذر عن شروده، وعندما أعاد طلب رقمها اعتذرت له فكان اعتذارها صفعة على وجهه، وقبل أن يفتح فمه طلبت هي رقمه وأخبرته أنها ستتصل به عندما تستعد نفسياً لذلك فأمورها العائلية باضطراب وعندما استأذنته وهمت بالرحيل سألها عن اسمها فقالت له:
-عندما اتصل بك سأخبرك به فأنا لن أقرر بلحظة أن أتواصل معك ونصبح صديقين دعني أفكر.

أيقن أن طريقة تعاملها معه لتجعله يزداد تعلقا بها ، مما زاد من إعجابه بها فرأى أن ذلك دليلاً على أنها تبادله نفس الشعور، وبعد أن ذهبت علق بين فكي الانتظار بعد أن تاه في دوامة أفكاره، فهل إحساسه سيصيب قلبها أم أنه سيكون عابرسبيل في حياتها، ولن تتذكر أنها قابلته يوماً.

نهاية الفصل السابع

يحيى

استغل أسامة غياب والديه عن المنزل وعلمه أنهما لن يعودا في الوقت الحالي لانشغالهما بأمور الدكان ،فأخبرهما أنه سينام في المشفى عند صديق مريض ليطمئن قلبيهما ، ويضمن بقاء أمه مع أبيه في الدكان واتجه إلى المنزل ليبحث عن مبلغ من المال كان أباه قد خبأه لغدرالزمان، وهو على يقين أنه لن يعطه جزءا منه إن طلب ذلك ،فقرر أخذه بغيابهما وإيهامهما بأنه نسي الباب مفتوحاً فاقتحم المنزل لص وسرقه. تخلى عن كونه ابنا ولبس قفازات ودخل إلى غرفة أبيه كلص ليسرق المال ويلوذ بالفرار. اتجه لخزانة الملابس ليخرج أحشائها بعشوائية ثم إلى أسفلها وداخل السرير وأسفله، كالمجنون الذي غاب كل شيء عن ذهنه عدا هدفه الأساسي ،فوقف لحظة ليغرق عقله في التفكير أنه لو كان عوضاً عن أبيه أين سيضع النقود فلم ليشعر بوالده الذي عاد فجأة لوهن وألم أصاب رأسه، فشعر بحركة في غرفته وأسرع ليصدم بابنه الذي قلب الغرفة رأسا على عقب فنظر له وهو مقطب الجبين:

-ماذا تفعل هنا؟ على ماذا تبحث؟ عن النقود بالطبع.

فأجابه بغضب والشرار يتطاير من عينيه فقد كان يتوق لجرعة من السم: -نعم، ما علاقتك بذلك فالنقود لي وأنت ستمت عاجلاً أم آجلاً.

جن عقله بتلك الكلمات فأسرع وأمسكه من يده ليخرجه من غرفته، فدفعه أسامة أرضا وأسرع ليمسك السكينة التي عليها بصمات يحيى ووقف أمام أبيه مهدداً فلم يكترث الأب لكلامه بل عزم على إخراجه من المنزل ،فلم يتوقف عن قول دعني سأذبحك مراراً وما إن أوصله إلى الباب حتى اخترقت السكينة كمخلب معصم يده التي يمسكه بها، فاعتصر الألم قلبه وكاد أن يتوقف فخرجت الآهات التي كانت لأسامة مقطوعة موسيقية تطيب له سماعها ،وعيناه تتمتعان بمشهد الدم الذي ينزف مغطيا يده وهو مستلقي على الأرض ، لكن لم تأخذه رأفة به بل أمسك وجهه بقبضة يده وعاود سؤاله عن مكان النقود، وعندما لم ينطق بكلمة واحدة سحبه من يده إلى الغرفة فأشار لحوض نبتة معلقة على الشباك، فأفلته وبحث بداخلها ليجد النقود فحاول أباه الصراخ والركض نحو الباب فأسرع ووقف أمامه ليطعنه بذات المخلب الذي اخترق أحشائه فسال دمه كالماء المتدفق من ينبوع لينتفض جسده، وبعد ثوان أعلن مفارقته لروحه، ولكنه لم يكتف بما فعل بل ركع على ركبتيه وأعاد طعن اليد التي أمسكه بها ،عندما كان يحاول طرده من المنزل ثم أدخلها وهو يطبق على فكيه كمن أخذ ثأره وشفى قلبه من حقد دفين لسنين

طويلة، وترك أداة الجريمة قربه ثم لاذ بالفرار مع
النقود وبعد مضي
ساعات

عادت الأم إلى المنزل لتطمئن على زوجها فرأت الباب مفتوحاً بمقدار شعرة فأسرعت لتدخل المنزل فوجدته مقلى
على الأرض التي تغطت بسجادة حمراء وهو غارق بدمائه فبدأت بالصراخ والعويل واستنجدت بالجيران فصعدوا إليها واتصلوا بالشرطة التي حاوطت المكان وقاموا بكافة
الإجراءات ، حيث رفعوا البصمات عن أداة الجريمة، وفحصوا قفل الباب فلم يجدوا أي محاولة كسر أو خلع ثم أكملوا مسح المكان بدون أن يدعوا خرم إبرة يغيب عن عيونهم وأرسلوا البصمات لينتظروا نتائج التقرير.
واتصل الجيران بأسامة كي يساند أمه في مصابها وتسانده ،فأتى إليها مذعورا ليرى ماذا حل بأبيه ودموع التماسيح تنهال على خديه وبقي ملازماً أمه لحين
ظهور تقرير نتائج رفع البصمات إلى أن تلقت أمه الخبر كفاجعة أكبر من موت زوجها بأن القاتل هو يحيى، فلم يستطع عقلها استيعاب أن من اعتبره زوجها ابنا له ارتكب تلك الجريمة الشنعاء وهو يناديه بأبي.
استغل أسامة ضياعها ووسوس في عقلها قبل أن يدليا بإفادتهما للنيابة : بما أن يحيى كان يحتاج إلى النقود ولأنه قريب من أبيه استطاع أن يأخذ نسخة عن المفتاح

،ليسرق النقود فقد كان على علم بوجود النقود حيث أن أبيه كان قد عرض

عليه المبلغ لكنه أبى أن يأخذه مدعياً أنه لا يحب أن يكون مدينا لأي شخص كان. مع أنها لم تكن تعلم بوجود النقود فقد أكدت كلام ابنها في التحقيق، حيث أن أسامة قد سمع أبيه يعرض المال على يحيى بصوت خافت، وكان قد تجسس عليه عندما دخل غرفته من ثقب الباب وهو يعد النقود وقبل أن يخبئ المبلغ وضع المفتاح وأقفل الباب مما جعل أسامة يستشيط غيظا وغضبا منه.

بعد شهادة أسامة وأمه اعتقلت الجهات المختصة يحيى بتهمة القتل لكن عند اقتياده لم يشعر بخوف أو قلق فقد كان على يقين بأن هنالك تشابها في الأسماء لكن عندما بدأ التحقيق معه أول خبر أصيب به سمعه كطلقة نارية أن الشهود زوجة المغدور وابنه أقرا بقتله لرب منزلهم مع وجود إدانته بجانب الجثة، شلت لسانه عن الحركة ولم ينطق إلا بكلمة أبي مراراً وتكراراً، مع صراخ وانهالت دموعه وهو يقول لا ، ويحرك رأساً يميناً ويساراً، فلم يصدق أنه فقد أبيه الثاني إلى الأبد وأنه المتهم بقتله. تم استدعاء الطبيب ليهدئ روعه بحقنة عاجلة فقد كاد أن يصاب دماغه بارتجاج من تحريكه المتواصل وجفناه بالتشنج من التحديق مع الصراخ المتقطع بكلمة أبي، ثم زج به في الزنزانة ريثما يستعيد

وعيه لمعاودة التحقيق معه.

عادل

لم يرغب بالحديث مطلقاً رغم إصرار أختيه بل فضل البقاء صامتاً والانعزال عمن حوله إلاّ مع حبيبته، فقد كان يعيش معها في بيت خياله ويذهب لأمه يمضي الوقت مع روحها لينتظره الندم في كل مرة ويمزق فؤاده على سنين مضت ولم يمض معها يوماً واحداً، برغم رجاء أمه لكنه كان يكتفي بقول لا أستطيع فلدي موعد هام . مسح دموعه بسرعة لكيلا يلحظه أحد وجلس يراقب جدران المشفى لعل واحداً ينطق ويحادثه ليخفف أتراحه فرأى فتاة تراقب الساعة بذعر، وعندما انهمرت دموعها سرقت انتباهه فاتجه نحوها وأخرج من جيبه منديلا ومد يده لها وبدون كلمة شكر رفعت ناظريها وأخذته، فانسحب ليحضر كأسين من الشاي وعندما عاد رآها تبحث بعينيها في أرجاء الممر عن أحد ما فاقترب وأعطاها كأسا فتشكرته، ثم أخذته منه فأومأ برأسه باسما وعاد ليجلس مكانه وعانقت يديه كأس الشاي وعادت عينيه لمراقبة الأرض والجدران بينما دخل عقله إلى منزل خياله. لكن الدهشة الصادمة له كانت عندما رفع ناظريه نحو الفتاة التي عادت للبكاء وفتاة أخرى تعانقها وتهدئ من روعها وعندما أمسكتها

وأجلستها على الكرسي أصابت عينا عادل بسهمين زرقاوين لينتفض قلبه ويخفق فكاد أن يكسر أضلاعه.

-أهي ما أرى أم أنه طيفها؟! أيعقل أني بدأت أن أراها بوجوه الفتيات أم هذه شبيهة لها؟!

أطبق جفونه فجأة ليتأكد إن كانت وهما ثم فتح عينيه فإذا بفاتنته أمامه فقفز من مكانه ووقع الشاي على قدمه فلم يأبه للألم بل ركض ووقف أمامها كتمثال يمعن النظربوجهها وهي تحادث الفتاة فانتهبت له وقالت بدهشة:

-عذراً، أتريد شيئاً ؟!

لم ينطق فاه بكلمة بل بقي جامداً في مكانه لينسخ صورتها الواقعية بصورتها في خياله فأصابها الاستفزاز فقالت له:

-هل أنت أبكم؟

فرد متلعثما:- لا أبكم، أقصد اتكلم استطيع، أنا أسمي عادل.

ومد يده ليصافحها فنظرت ليده ثم صافحته بتثاقل فكانت لمستها ليده كفيلة بأن يفقد عقله وتطايرت كلماته:

-انا أعرفك منذ أن كنا في الجامعة ،ومنعت نفسي عن حبك ،وبعد تخرجنا بمدة شعرت بالندم وحاولت إيجادك لكن بلا جدوى، ثم ظهرت فجأة أمامي الآن.

وقفت متجمدة من صراحته المفرطة وهي تنظر إليه، خيل لها أنها تعرف تلك الملامح لكن الكدمات والتعب الذي بدا عليه جعلت تذكره بسرعة يستعصي عليها، فحاولت تجاهل اعترافه قائلة :

-عادل، تذكرتك لقد كانت قصص غرامياتك على كل لسان في دفعتنا.
رد بابتسامة خجولة وبارتباك مراهق صغير:
-صدقيني، تغيرت عندما أيقنت بحبي لك.
فردت محتدة :

- ما بك يا رجل ؟ما هذا الجنون وهذه الثقة البلهاء ؟أتظن أنك لا تزال بالجامعة تصطاد أي فتاة تحلو لك؟!
بلحظة أصبح حلمه كابوساً فقد مزقت فؤاده إلى أشلاء بردها الذي سحق كيانه وشلت لسانه عن الكلام ،فبقي واقفاً يمعن النظر بها، لكنها استأذنت صديقتها مستغلة فرصة قدوم أقاربها لها وهمت بالرحيل مسرعة وعندما حاول اللحاق بها التفتت إليه ورفعت إصبعها بوجهه قائلة:
-إن حاولت اللحاق بي مجدداً ستجد نفسك مرميا في السجن.
ثم ذهبت لتتركه مشلولا فعاد أدراجه لصديقتها لعله يأخذ منها معلومات بعد أن يروي لها قصته، لعلها تساعده بالوصول إليها وتحاول إقناعها ناسياً وضعها ، لكنه وجد أقاربها يحيطون بها وكان وضعهم مرتبك والجو فيما بينهم يسوده التوتر والقلق ، فلم يجرؤ على الحديث ولزم مكانه ينتظر أن تسنح له الفرصة ليحادثها، ومضت ساعة حان بها موعد زيارة أمه فدخل لغرفة أمه كي يروي عينيه من وجهها خشية أن تفارقهم بغتة ،ويطلب منها السماح ويدعوا لها بالشفاء وما إن انتهى الوقت حتى خرج ليرى صديقة حبيبته فلم يجد لها أثراً ولا لأحد ممن كانوا برفقتها، فاتجه مذعورا

ليسأل الممرضة فأخبرته أنه بعد أن ازداد حال أبيها سوءاً توفي فجأة فنقلته العائلة للدفن. لم يستطع الحصول من المستشفى على أي معلومة عنها فتمزق كيانه إربا لأن اللقاء بها ذهب هباءا منثورا والأمل الوحيد للقاءها مرة أخرى قد
تبخر.

حسام

دخل غرفة سهر ليفهم ما بها فوجد الدم يغلي في عروق وجهها ،تجلس على سريرها عاقدة حاجبيها فجلس بقربها ووضع يده على يدها بحنانه المعتاد ثم قال: -ياعزيزتي.

فقاطعته محتدة: -أرجوك لا أريد الحديث عن صديقك .

ارتبك من غضبها الذي لم يعهده قط، فانسحب بدون أن ينطق كلمة فقد أيقن أن عليه الخروج وتركها لتهدأ كي يعاود الحديث معها لاحقاً. داهمت الفتاة الحزينة خياله بابتسامة مفاجئة فشعر أنها بحال جيدة وأن وقت اتصالها به قد اقترب، لكنه لم يعلم أن شعوره حقيقي أم نابع من رغبته في اتصالها. استيقظ في صباح اليوم التالي وأعد القهوة له ولسهر، وعندما أحست منه نية الحديث عن يحيى تنفست الصعداء ،ثم أخبرته أنها طلبت من يحيى أن يمهلها أياماً قليلة ، لتعلمه إن كانت ستستمر بعلاقتها معه أم لا ، وترجته ألا يحاول التأثير على قرارها لكيلا تندم لاحقاً بسببه فاحترم رغبتها وفضل الالتزام بالصمت حيال ذلك وعاد ليتسائل مع نفسه:

-يا ترى هل ستتصل أم أنها أخذت رقمي لأنها لم ترغب بكسر خاطر شخص غريب؟
قاطعت سهر شروده لتسأله عما حدث معه فقص لها ماحصل كاملاً وطلب منها أن ترافقه في المرة القادمة لكي يسهل عليه محادثتها إن رآها مرة أخرى.

بعد ثلاثة أيام جاء موعد جلسة أمه وبمجرد أن خطت قدمه المقهى بدأت عيناه بالبحث عنها ،وبعد أن جلسا مضى وقت ولم يلمح ولا حتى جزءا من طيفها، فأمسك هاتفه ليرى إن كان قد استقبل منها شيئاً لكنه لم يجد رنة واحدة ، فاتجه للألعاب كي يمضي الوقت بدون أن يفكر بها ،وسهر تنظر لمن حولها وتغوص ببحر أفكارها ؛وفجأة أخذت شهيقا من أعماقها كمن أرعبه طيف شبح عابر ،ثم هزت يد حسام وهي تقول :

-انظر، انظر أتت هنا هي.

-مابك؟ من؟

رآها تنظر أمامها للفتاة الحزينة، فقد دخلت وكأن عيناها تبحث عن أحد ما إلى أن وقعتا عليهما، فلوحت لهما من بعيد ولوحا لها فاقتربت وألقت التحية وقبل أن تنطق بكلمة أخرى أمسكت سهر يدها وأرغمتها على الجلوس، فجلست وهي تضحك من تصرفها العفوي فأعقبت سهر سؤالها:

- لم تخبرينا ما اسمك؟إن كنت تشعرين بالخجل من أخي اهمسيه في أذني وسأقوله أنا بصوت عالي.

فتعالت ضحكاتهم وقال حسام لها:

-إن أختي تحب المزاح وإن لم ترغبي بقول إسمك وتحتاجين صدفة أخرى لاعليك سنتفهم ذلك

ضحكت قائلة:- ليس لهذه الدرجة، اسمي عبير.
اكتمل فرح حسام بها فإعجابه تكلل باسمها، فقد كان يعشق عبير الزهور منذ نعومة أظفاره، ثم ساد الصمت لحظات وهما يوزعان الابتسامات على بعضهما وسهر تضع يدها على خدها كمن تشاهد مقطعاً من فيلم رومانسي، ثم استأذنت منهما لتكمل المشهد وهي تشرب القهوة وتحضر فنجانين لهما وقبل أن تعود سألها عن حالها وإن كانت تشعر اليوم بأنها أفضل حال عما مضى وهي تجيبه بكلمات مختصرة: -بخير، اليوم أفضل مما مضى. فقد فضلت أن تستمع إليه لتتعرف داخله وروحه أكثر، فعادت سهر بعد بضع دقائق وما إن جلست حتى أتاها اتصال بدا أنه طارئ فاستأذنت بالرحيل ولم يسألها حسام عن سبب ذهابها فقد اعتقد أنها اختلقت عذراً لكي تدعهما يتبادلان الحديث بينهما بسلاسة لعل ذلك يفتح بابا لأول حب في حياته.
نهاية الفصل الثامن.

يحيى

وحيد بالغابة بليل حالك بين أنياب ذئب مفترس يتمنى أن يرى بصيص نور لينجو وينتشله منقذ من قبضة الظلم، كان مقيد الفكر لم يقو فاه على النطق بعد التهم التي نسبت إليه:

-أنا قتلت أبي؟ يعني أنه ذهب وتركني وحيداً، لقد رحل باكراً.

لم يردد بعقله سوى تلك الكلمات بالساعات التي أمضاها بعد أن استعاد وعيه، إلى أن استدعاه المحقق لاستجوابه مرة أخرى فتلقى كلمات كانت لكمات على وجهه عندما أخبره بالإفادة التي قدمتها زوجة المغدور وابنها، ثم لخص له سبب ارتكابه الجريمة بأنه دخل خلف المغدور وهدده بالسكين وعندما أخذ النقود منه كشف له عن وجهه فطعنه ولاذ بالفرار. عاود المحقق تحذيره ليعترف ويخفف عن نفسه الحكم ،فجرده ذلك من هدوءه الذي دائماً ما اكتست روحه به وكادت أن تنقطع حباله الصوتية وهو يصرخ:

-أنا بريء أنا بريء لم أقتل أبي صدقني.

نظر له المحقق باستعطاف، فقد كان الصدق يتحدث بالنيابة عنه ،لكن المعطيات تخالف ذلك، فنصحه أن يطلب مساعدة أحد يقوم بتوكيل محام للدفاع عنه

،فأعطاه رقم حسام فلم يكن بحياته أحد سواه، ولم تقل صدمته عن صدمة يحيى لكنه لبرهة اعتقد أن ذلك مقلب من يحيى ليختبر حب سهر له ولكنه لم يصدق ما سمع إلا عندما ذهب لقسم الشرطة، ورآه مكبل الأيدي بالأصفاد كمجرم حقيقي، فانهال عليه بسيل من الأسئلة التي لم يمتلك يحيى أي أجوبة
عليها:

-متى حصل هذا؟ ماهذا الهراء؟ إن تلك التهم باطلة ، لكن كيف نسبوا تلك الجريمة البشعة إليك .

نظر له يحيى بصمت وأدار وجهه ليعود لسجن عقله، فارتعش قلب حسام لبرهة خوفاً من أن تكون تلك التهم صحيحة، فلم ينطق بكلمة يدافع عن نفسه بها فقام حسام بمسكه من ذراعيه وهزه:

-أجبني أنه لا علاقة لك بذلك.

فانهالت الدموع من قلبه مرة أخرى وهو يقول:

-صدقني لم أقتله

فاحتضنه حسام وعانق رأسه محاولا تهدئته، ثم طلب منه أن يتذكر أي شيء يفيده فسيوكل له أمهر المحامين للدفاع عنه وأسرع إلى أبيه لإخباره ما حصل وليسأله إن كان يعرف محام محترف، أو يساعده في البحث ،وعندما قص له ما حدث لم ينطق بكلمة بل سرح قليلا وهو يفكر ،فاعتقد أن أبيه يحاول أن يتذكر اسم محام لكنه نطق خلاف ما كان يعتقد:

-يا بني إن القلوب والنفوس تتغير دوما وما أدراك أن تهمة السرقة باطلة؟ ولم يجد منزلاً أسهل عليه من منزل صديق أبيه، وممكن أن قتله فقط كان عن طريق الخطأ.

احتد حسام وشرع بالدفاع عنه كما لو كان المقصود ولأول مرة في حياته ارتفع صوته بوجه أبيه، فأسرعت سهر من غرفتها مذعورة وسألت:

-ماذا يجري؟أخفض صوتك فأمك نائمة.

صمت قليلا ، فقص أباه ماجرى سابقاً:

-قابلت يحيى قبل قدومه لزيارتنا وأخبرني أنه لن يستطيع الزواج من سهر في الوقت الحالي لأن أوضاعه المادية لم تتحسن

بعد.

رد حسام وهو مقطب الجبين:
-ذلك ليس دليلاً عليه.
ثم قطع الحديث على أبيه ،وخرج من المنزل يبحث عن محام بقوى خارقة، يستطيع سحب صديقه من مأزقه بأي معجزة.
جلست سهر بجانب أبيه ونظرها جامد على الأرض، فلم تصدق أذناها ما سمعت ولم تتخيل عيناها أن تراه مكبل الأيدي خلف القضبان ثم انهمرت قطرات الندى على وجنتيها وهي تقول :-أنا السبب ، لأني تغيرت معه وهددته بأني سأنهي علاقتي به.
ثم مسحت دموعها وتنهدت قائلة :
-لكن ذلك لا مبرر له للسرقة والقتل .
ثم سحبت روح يحيى من إصبعها وأعطته لأبيها :
-أعط حسام هذا القيد ،ليعلم صديقه أني حرة من الآن فصاعدا.
أما يحيى بكل دقيقة كان يراقب الباب لعل عيناها تنيران عتمة سجنه، وكأوراق الشجر ذبلت عيناه بعدما استدعاه المحقق معلناً عن خبر إحالته لوكيل النيابة، فالتهم الموجهة إليه سترافقه إلى أن يلاقي حتفه أو يخرج محام من تحت الأرض يثبت براءته من تلك التهم.

أيقن يحيى أنه في حضرة دمار حياته وانهيار مستقبله، فاستسلم لقدره وأصبح يؤمن بأنه ما من معجزة ستقتلعه من هذا الظلام فنهايته باتت محتومة كما انتهت أيام والديه وأبيه ، ولم يبق هدف لحياته فمن كانت لأجلها تدق ضربات قلبه لم يرى لها طيفا يسانده، وما زاد من الألم الذي اعتصر قلبه بكل يوم أن من تعلق أمله به وأعطاه رشفة أمل بالنجاة لم يره مرة، فأيقن أن حسام وعده شفقة منه وبعد أن فكر بما جرى لم يصدق براءته . بعد مضي أيام لم يستطع إحصاءها مع مجرمين يشاركهم طعامه وشرابه ومنامه استعد لحزم حطام قلبه والتوجه للقرب من
مقبرته.

عادل

كل ساعة مضت بيوم لقاءه بها كانت تنهش روحه، فقد عرف آنذاك ماذا يعني شعور خيبة الأمل، والصدمة التي أصابت فؤاده بذلك اليوم جعلته يندفع للبحث عنها أكثر من السابق فخرج من دوامة صمته ثم ذهب بصباح يوم جديد إلى غرفة أخته كي يسألها إن عادت صديقتها من السفر فأجابته قائلة:

-لقد سبقتني فقد أنتظرك أن تهدأ لأخبرك أني عرفت مكانها بثاني يوم من اختفاءك .

وقف يحدق بها صامتاً وقلبه يقيم احتفالاً مع أحشائه فابتسمت ولوحت له فرد ضاحكاً:

-خمس دقائق وسأنتهي من ارتداء ملابسي.

ثم اختفى من أمام ناظريها كلمح البصر وانتهى بسرعة البرق وعاد إليها ينتظرها حتى تنتهي ،فتملكه الضيق من الانتظار لأنه شعر أن تلك الدقائق ستأخره عن تحقيق هدفه لكن سرعان ما تخلص من ذلك الشعور عندما شرع بتخيل ثاني لقاء بينهما. عندما استقلا سيارته سألته توأمه عما حصل معه وما سبب اختطافه، ومع أن عقله كان مشغولاً بلحظة لقاء حبيبته، فقد قص لها ماحدث معه بإيجاز وحذف مالم يرغب أن تسمعه

أخته التي أصابها الجمود وشعرت بالأسى حيال ساندي لأن قلبها ممتلئاً بالسواد ، فبرغم أن علاقتها بعادل

كانت صداقة بريئة وتطورت عندها لمشاعرحب وهو لم يعدها بشيء ،وعندما طفح الكيل به لم يستطع تحمل غيرتها فقرر إنهاء الصداقة وهي لم تحتمل رفضه لها فقررت الانتقام منه عندما تحين لها الفرصة. لم تندهش أخته من السيناريو الذي قاله عادل بل صدقته أيضاً فهي تعلم مدى إعجاب الفتيات بأخيها، وما إن انتهى من سرد القصة حتى وصلا إلى الشركة التي تعمل بها حبيبته المجهولة، وبمجرد أن نزلا من السيارة هرول إلى موظفة الاستقبال مما جعلها تهرول خلفه بدهشة ،لكنه وقف أمام الموظفة بدون أن ينطق بكلمة فقد نسي أن يسأل أخته عن اسمها التي وصلت تلهث قائلة:

-أنستطيع أن نقابل الآنسة نور؟

رفعت سماعة الهاتف وأخبرتها فسمحت لهما بمقابلتها، طرق اسمها مسامعه كموسيقى عذبة تروق لها النفوس فزادها اسمها نعومة بعينيه.

كانت كل خطوة يخطوها لمكتبها بالطابق الثاني تزيد من ضربات قلبه أضعافاً مضاعفة ،وكأنه يصعد هرولة لبرج أو جبل شاهق، فقد أوشك أن يقابل حلم حياته ويمسح بنور وجهها كل السواد الذي عاشه بالأيام الفائتة؛ وعندما وصلا إلى المكتب استوقف أخته لحظة ليرتب ثيابه وشعره وتقدم أمام أخته ليطرق الباب

بأنامله فسمع صوتها كتغريد
البلابل

ولبرهة أعلن قلبه النفير العام حذراً من تأثيرعينيها عليه ، ففتح الباب وأدخل أخته قبله ودخل خلفها وهو ينظر إلى الأرض خجلا منها لما حصل باللقاء الأول .صافحتها أخته أولا فدعتها للجلوس وما إن رفع عينيه ليصافحها حتى أصابت نظرات عينيها قلبه كشظايا مزقته بالخيبة مجدداً، فلم تكن مراده فدارت عيناه نحو أخته وقبل أن تغرقا بالدموع حرك رأسه يميناً ويساراً بأن :لا، ليست هي من أبحث عنها.

وتقطب جبينه فجأة ونور تنظر إليهما كالصماء في حفل الزفاف، فصافحها واعتذر منها وهم بالخروج بمقدار ألم من خيبة قاتلة لم يستطع قلبه تحملها ،فركض لسيارته مما جعل أخته ترتبك وهي تخبرها القصة باختصار وجيز، ونور ترمقها بنظرة غضب لمضيعتهم لوقتها، فتأسفت لها مرة أخرى وهي تتلعثم وتعتذر كأنها أجرمت بحقها ،ثم أسرعت بالخروج لعادل لتجده يمسك مقود السيارة وعيناه متورمتان كأنه كان يبكي لساعات، وهو يخرج زفرات كأنها من تنين يشتعل غضبا ،فحاولت أن تنطق كلمة لعلها تهدئ من غضبه فأومأ بيده كي الصمت ، فأكملا المسير إلى المشفى بصمت سحقها لأنها حطمت أمل أخيها. وصلا ليريا وجه أمهما

كالمعتاد فلم يرغبا أن يضيع يوم ولا يرويان عينيهما من نبع الحنان

ولكنهما في هذه المرة لم يسألا الطبيب عن وضعها كما اعتادا بسبب صدمة اللقاء الخاطئ ، وبرغم ذلك عندما رأى عادل أن الطبيب المسؤول عن حال أمه يتجه نحوه رفرف قلبه فرحا، فقد اعتقد أنه سيعطه رشفة أمل يروي بها ظمأه بشفاء أمه ،لكنه زاد من خيبته القاتلة مما أرهق روحه عندما أخبره أن حال أمه يتراجع يوماً تلو الآخر وهي لاتبدي أي تحسن ، فالغيبوبة التي دخلتها سحبت روحها بسرعة فحاليا تحيا على الأجهزة ولن ينتظروا طويلاً حتى ينتزعوها لأنها ميتة دماغياً.حاول الطبيب أن يلقي الخبر على مسامعه تدريجياً فقد اتصل مسبقاً بتوأمه واعلمها بكل شيء فطلبت منه أن يخبر أخيها بالتدريج لتخفيف هول الفاجعة ،لأنه يشعر أنه السبب لما آلت أمه إليه ،وكان كلامها صائبا فذلك الخبر جعل دموعه تعطل بصمت لتسلخ وجنتيه ،ثم نظر لها ورآها لم تبد أي رد فعل فعلم أنها تلقت الخبر قبله، فقد كانت بصلابة جبل شامخ تحاول جاهدة ألا تنهار وتري أحداً دموعها لتستطيع أن تساند عائلتها وبرغم ذلك كانت عيناها لا تستطيعان إخفاء ما يثقل قلبها من أحزان.

جلسا يراقبان الجدران وكأن واحداً سينطق ويحادثهما ليخفف عنهما إلى أن أتتها رسالة لها سحر كاف ليرسم

على وجهها ابتسامة خطفت نظر أخيها الذي بدت ملامح الاستغراب واضحة عليه لتبدل حال أخته فجأة ،وبرغم الألم الذي يمزق قلبه وروحه لم يدع تلك الابتسامة أن تمر أمام عينيه بدون أن يعرف سببها لانه كان على يقين بأن قلبها يحترق على أمها ولا يوجد أمل لشفاءها، فمن الذي استطاع أن يغير حال روحها ؟

حسام

أمضيا الوقت ببسمات عشوائية ، فلم يعرف أن ينطق بحوار مفيد يحادثها به فقد خشي أن يسألها شيئاً تعتبره تدخلا في حياتها الخاصة ويفقد بذلك فرصة أن يتقرب منها لكنه لم يكتف بالصمت بل رغب بالحديث عن أي شيء حتى لو كان تافها ولا مناسبة له فقال لها مبتسماً:

-أنا لا أحب كرة القدم . فردت بابتسامة حاولت إخفاءها وعيناها تنظر لهاتفها: -ولا أنا.

ثم صمت لحظة وأكمل حديثه:

-أتعلمين؟ أنا عكس عائلتي لا أحب الدجاج المقلي أحبه مشويا فقط لأنه يصبح صحياً ومفيدا أكثر.

حاولت إيقاف بسمتها كي لا تتطور لضحكات فردت مختصرة: - ولا أنا.

-جيد أنت مثلي تحبين الطعام الصحي.

فنظرت له بضيق بعد أن اختفت ابتسامتها فجأة:

-ولم لا تكون أنت مثلي أو نحن مثل بعضنا؟!

أصابه الجمود لبرهة فقال في ذاته :

-تبا، ما تلك التفاهات التي تفوهت بها.

فقطعت غضبها ضاحكة :-مابك؟ انا أمازحك

فتشاركا بالضحكات ليعود الصمت مجدداً فعاد لمحادثة نفسه:-مع أني أشعر برغبة منها في محادثتي، وبآن واحد متحفظة عن المبادرة بخطوة اتجاهي، وأخشى أن أتكلم بشيء معها تعتبره تعديا على حياتها الخاصة، ماذا سأفعل؟

دارت تلك الكلمات داخله قبل أن يتمنى أن تعطه رقمها أو تتصل به ولو عن طريق الخطأ، ثم انقطع الصمت بينهما عندما انتبه على الوقت مذعورا :-أمي .
فانتفضت قائلة: - أمك ؟! ما بها؟
ركض كالمجنون ثم تبعته بلا وعي وإذا بأمه جالسة في الممر تمسك بيد الممرضة وتنتظره، فهرول إليها وجثى على ركبتيه وقبل يدها والدموع تملأ عينيه وهو يعتذر مراراً وتكراراً وأمه تمسح على رأسه بيدها لتهدئ من روعه، وهي تقول له :-لا عليك فقد خرجت للتو.
وقفت عبير تراقبهما ببسمة لتعاود عيناها ارتداء ثوب الحزن، فوقف حسام ليمسك يد أمه ويساندها على الوقوف ،فاقتربت عبير مسرعة وأمسكت يدها لتساندها ثم ألقت التحية عليها وصافحتها ببسمة حزينة:
-أنا عبير صديقة حسام وسهر
نظر لها حسام بطرف عينه وبابتسامة نبعت من قلبه :
-صديقة جديدة جداً
أنسى ألم أمه بتلك الابتسامة والنظرة التي افتقدتها منذ أن عرف بمرضها وببرهة عادت بذاكرتها إلى الوراء ،عندما سمعت حديث أولادها عند باب المنزل عن فتاة حزينة، فشعرت أنها المقصودة وقبل أن يصلوا لباب

المشفى دعتها لتناول الغداء معهم فاعتذرت بلباقة:-مرة أخرى
لكن عندما أصرت عليها وهي تقول لها:
-يجب أن تأتي وتتذوقي طهي الطعام على طريقة حسام.

لم ترغب بأن ترفض دعوتها فقد لمست منها حنانا كانت بأمس الحاجة إليه، فدق قلب حسام طبول الفرح بموافقتها بعد أن ترقب ردها بقلق، فاستوقفهما لحظة ليتصل بسهر كي تلحق بهم فلم يجد رصيداً معه فطلبت منه رقمها لتتصل هي بنظرة قالت له بها: أعلم أنك تملك رصيداً كافياً.

فرد قائلا:-أمهليني لحظة لمعاودة الاتصال ثم فتح سماعة الهاتف لتتأكد من صدقه، فقد فهم ما يدور برأسها من نظرات عينيها بعد الحوار الذي اختلقه مع سهر سابقا فردت عبيروهي مبتسمة لأنه فهم نظرات عينيها: -أصدقك . ابتسمت أم حسام فقد شعرت وكأنهما يعرفان بعضهما منذ سنين للتناغم بينهما، أكملوا المسير لسيارة الأجرة وحسام يمسك يد أمه وسهر تمسك يدها الأخرى وهي تحادث سهر ، فكانت فرحته تضاهي سعادته بتعافي أمه، فقد أمده قلبه بإحساس أن عبير ستشاركه حياته زوجة لآخر العمر، وستكون ابنة ثانية للعائلة وما إن دخلوا حتى عادت سهر وكأنها بصحبتهم، فقد حاولت تمضية الوقت بمشاهدة الملابس في المحلات الفاخرة المجاورة للمشفى وتتخيل نفسها ترتدي الفساتين التي يكلف الواحد منها دخل أسرة بأسبوع وأكثر، وعندما رأت عبير قفزت إليها كأرنبة

ضحوكة وعانقتها ثم قبلتها وكأنها صديقة الطفولة، واستأذنتها لتطمئن على أمها ،ثم اتجهت إلى المطبخ لترى حسام مرتبكا حائراً لا يعلم ماذا يطهو فقد خشي أن ارتباكه وسرعته في الطهو أن ينجم عنها طعاماً لا يؤكل، فانتبه لسهر وهي تراقبه ضاحكة، وقبل أن يسألها ماذا يعد قالت له:

-اقترح أن تحضر طعاماً جاهزاً لأنك ستأخذ وقتا ومن المحتمل أن تذهب ملاكك إن تأخرت كثيراً.

فرد بسعادة عارمة : - معك

حق

ثم أسرع كالفهد لأقرب محل لبيع الدجاج المشوي وأحضر ثلاثا منها ،وأسرع إلى المنزل كالعداء بلا توقف ، وضع الأكياس عند عتبة الباب ليخرج المفتاح لكنه تذكر أنه نسيه في الداخل ،فقرع الجرس وما إن سمعته عبير حتى ركضت مسرعة لتفتح الباب، وعندما رآها حسام رقصت عيناه ووقف يتأملها ويلهث، فحلق قلبه في أرجاء صدره حيث راوده شعور أن هذا الموقف سيعاد كثيراً في المستقبل، وبمجرد أن دخل وقف أمامها والإبتسامة أخذت عرض وجهه وقال بسرعة ناطق آلي: -إذا سمحت لي سآخذ رقمك من أختي.

ضحكت لطريقة كلامه فردت:

- لا تأخذه من سهر لأني سأعطيك إياه أنا.

كادت أن تقفز قدماه وكأن تلك الأرقام لجائزة مالية كبرى، ثم طلب منها أن تستريح وبعد خمس دقائق سيكون الطعام جاهزاً لكنها رفضت الجلوس وفضلت أن تساعده وما إن بدأت بإخراج محتوى الأكياس وهو بإخراج الأطباق من الخزانة حتى ظهرت سهر وكأنها من تحت الأرض بمنتصف المطبخ مما أثار فزعهما فقد شرد

كل منهما في فضاء خياله للحظات فاعتذرت سهر
وذهبت لتوقظ أمها، ففضلت أن
تدعها تساعد حسام كيرتشعر أنها فرد من العائلة وتخلق
جوا من الألفة بينهما ،وما إن انتهوا من وضع الطعام
على المائدة ،حتى أتاها اتصال قلب كيانها وجعلها
تعتذر وتخرج مسرعة لسبب لم تفصح عنه، لكن حسام
أراد ألا يكون عبئا في حياتها ويسألها، فانتظر انتهاء
اليوم وقدوم الغد ثم ارسل لها رسالة كتب فيها : صباح
الأمل بيوم جديد ولم ينتظر سوى بضع دقائق لتجيبه
برسالة أخرى : صباح السعادة المنتظرة .
ابتسم وهو يمعن التفكير بتلك الجملة:
-أتقصدني بها ياترى؟! أم أنها تنتظر شيئاً قريباً
سيسعدها في حياتها؟
لم يعرف حسام أنه كان رجل أحلامها ،وأنها قد رسمت
ملامحه بخيالها لتتجسد به عينا الفهد القاتلة التي أصابت
قلبها بطلقتين زرقاوتين ،وبشعر الأسد الأشقر احتل
فكرها، وتكلل بجمال روحه فاحتل قلبها.

نهاية الفصل التاسع

يحيى

مر طيفه بخيالها لأيام أثارت دهشتها فرغم أنها لم تتعمد أن تفكر به لكنه كان يأتي عنوة إليها، أمسكت هاتفها لتتصل به فكان رقمه خارج الخدمة لعدة أيام مما أثار شكوكها ،فاتجهت أناملها لرقم سهر فاتصلت بها وما إن عرفت عن نفسها وسألتها عن يحيى حتى أجابتها بطلقات من الكلمات النارية:

-إنه مسجون بتهمة السرقة والقتل وأنا لم أعد مخطوبته ليجد مجرمة مناسبة له إن خرج .

تلقت ميرا الكلمات كصدمات كهربائية على رأسها فقالت:

-هل أستطيع مساعدتكم بشيء؟

ردت بغضب:-هل تعملين بالمحاماة؟

-لا. فقطعت سهر الاتصال بوجهها لتقطع أي كلمة ستنطق بها، مما أثار دهشة ميرا فلم تصدق أن هذه من عشقها قلب يحيى وأن إنساناً مثله يتهم بتلك الجرائم، لكنها لم تشك به لبرهة بل شغلت تفكيرها بطريقة تستطيع الوصول إليه بها ،ولم تجد سبيلاً سوى زوجها فاتصلت به عدة مرات لكنه كان يغلق الهاتف كل مرة قبل أن يلفظ هاتفه الرنة الثانية ،إلى أن شعر بالضيق منها فأغلق الهاتف كليا، مما أثار غيظها فلم تنتظر

لحين عودته بل استقلت سيارتها لتسابق الرياح كي تصل إليه وتفجر غضب سنين إهماله لها بعذر صديقه، وعندما وصلت سمعت أصوات ضحك تملأ المكان فاقتحمت مكتبه كقوة المداهمة الأمنية، فرأت مساعدته تدلك أكتافه.

وقفت تنظر إليهما باشمئزاز فانتفض من مكانه وهو يحاول أن يبرر لها فقاطعته

:

- لا يهم. ثم قصت عليه الحوار الذي جرى بمكالمتها مع سهر وعندما انتهت قالت له:

-يجب أن نذهب لزيارته، رد مندهشا :

-ولم؟ لا داعي لذلك فقط تمني له البراءة.

فكادت أضلاع وجهها تتمزق غضبا:

-أعطني اسمه كاملاً وعنوان أحد من عائلته يستطيع مساعدتي في الذهاب معي إليه .

لأنه كان يعلم أن زوجته تحب مساعدة الناس ، أخبرها أن لا عائلة له سوى أهل سهر ، وأعطاها عنوانهم لتذهب إليهم، بدون أن يزيد كلمة واحدة، فانطلقت كلبوة تطارد فريستها ومع خروجها نسي كل الحوار الذي جرى واستدعى مساعدته مرة أخرى .

عندما وصلت تمنت ألا تفتح سهر كي لا تطردها ، فتحققت أمنيتها عندما فتح لها حسام ورحب بها ثم عرفته بنفسها ،فدعاها للدخول لتخبره سبب قدومها إليهم، فحلق قلبه فرحا لأنه شعر أنها باب الفرج لصديقه، فأعد القهوة وجلس ليروي لها تفاصيل القضية وما إن انتهى حتى طلبت منه عنوان منزل المغدور كمحققة محترفة لتقابل زوجته وابنه، فرافقها على الفور. وعندما طرقا الباب فتحت الزوجة مرتدية الثوب الأسود ويعلو وجهها علامات الحزن فحركت بيدها

تدعوهم للدخول بدون أن تنطق بكلمة لمعرفتها بحسام
وما إن جلسا حتى قدمت ميرا التعازي
لها

بعد أن عرفتها بنفسها أنها زوجة صديق حسام وعرضت المساعدة عليها لكنها تشكرتها مع الرفض، ومع إعادة عرضها المساعدة عليها طرق صوتها مسامع أسامة فقفز مسرعاً لمصدر الصوت ليجد ميرا التي سحرته بطرفة عين بإطلالتها الفاخرة، فأسرع لمصافحتها والتعريف بنفسه والبسمة تعلو وجهه والسعادة تغمر صوته مما أثار الريبة في قلبها . جلس صامتاً وهو يروي عينيه من خاتم زواجها الألماسي وعقدها الذهبي . ساد الصمت لحظات وهي تراقب أسامة بعينيها من دون أن يشعر ثم عاودت عرض المساعدة عليه بعد أن قالت:

-عليك أن تتمالك نفسك فأنت الرجل في المنزل بعد أبيك.

فرد عليها مبتسماً: -انا لا أمانع أن تعطيني رقم هاتفك وإن احتجت شيئاً سأطلب مساعدتك.

نظرت له بدهشة وبصمت، أعطته رقمها ثم ودعتهما وتمنت لهما الصبر والسلوان. وعندما خرجت مع حسام طمأنته على قضية يحيى ووعدته بأنها ستتولى أمرها ،فبعثت السكون في داخله لغناها الذي تستطيع أن تحقق به المستحيل، فتشكرها ثم ودعا بعضهما ،وما إن صعدت سيارتها حتى أتاها اتصال من رقم مجهول،

وعندما أجابت فإذا بأسامة يطلب مقابلتها بأي مكان تختاره فلم تتردد في مقابلته لحظة بل أعطته عنوان المطعم الذي ترتاده دوماً لتقابله بعد ساعة، وانطلقت كالبرق لتقابل محامي العائلة فلم ترغب أن تضيع ساعة من الزمن بدون أن تجد حبل نجاة يسحب يحيى من بئرالظلم الذي وقع به .

وعدها المحامي أنه سيبذل قصارى جهده بعد مقابلة يحيى والحديث معه ،فقد كان محامياً يستطيع أن يبرئ القاتل ويضع الحق على المقتول ، فاتصلت بحسام فور خروجها وأخبرته بما قال محاميها ثم ذهبت لأسامة وبرغم أنها تأخرت عليه ساعة كاملة فقد ألقى التحية عليها بحماس بالغ ؛ حاولت أن ترغم نفسها على الابتسامة له وقبل أن تسأله ماذا يريد أن يشرب وجدت أمامه كأسا من الشاي وفنجانا من القهوة أمامه فأنهى مسرعاً آخر رشفة من كليهما سويا ثم قال لها:

-سأشرب كما تشربين فأنا لا أملك النقود.

أثار دهشتها بغرابة مذاقه ونفسه الدنيئة فأومأت بيدها للنادل الذي أتى مسرعاً وسجل طلب القهوة بالحليب بمجرد أن قالت له :-كالمعتاد لكن أحضر كأسين.

مضت بضع دقائق وهي تنتظر منه أن ينطق بكلمة فقد كان غارقاً بهاتفه يحادث أصدقائه وكأنه جالس بمفرده، لكن عندما وضع النادل الكأس أمامه وضع هاتفه مسرعاً وارتشف الأرشفة الأولى ثم قص لها كيف قتل يحيى أبيه، وكأن المقتول كائن فضائي من كوكب آخر، فقد بدت ملامح السعادة على وجهه فأصابت قلبها بريبة وقلق حياله فختم حديثه بسرعة قائلاً: -أبي ترك لنا

ديونا ومحلنا بالكاد يكفينا لسد الرمق وأنا أحتاج نقودا لنفسي وأريدك أن تقرضيني.

نظرت له رافعة الحاجبين بصمت ثم قالت له:

-ماذا تحتاج لنفسك .

ابتسم كثعلب :-أنا وأصدقائي نشرب بجو من الألفة قليلاً من المواد التي تهدئنا لنخرج نفسنا من واقع الفقر ونحتسي قليلاً من المشروبات الكحولية.

ابتسمت بدهشة لصراحته التي وصلت لحد الوقاحة ولم تستطع الرد بالرفض أو الإيجاب ، بعد أن أخبرها أنه لا يرتكب خطأ ليخفيه عن الناس فهو لا يؤذي أحدا بتصرفه فالناس الذي يعرفونه على علم بما يفعل .

أضحكها لتفكيره السخيف ، ويقينه بصحة أفعالهم ، ثم وافقت أن تعطيه مبلغا صغيرا من المال كيلا يكون عبئا على والدته فأخرجت من يدها مبلغا من المال وقبل أن تقوم بعده خطفه من يدها كلمح البصر والسعادة تغمر وجهه ،فلم تعترض على تصرفه بل غادرت مبتسمة لتتركه يخطط بدماغه جو السهر مع أصحابه فقد كان دوره بالعزومة لذا تبخرت النقود بليلة واحدة . في صباح اليوم التالي ذهبت برفقة محاميها لمقابلة يحيى وبشق الأنفس استطاع المحامي أن يرجعه بذاكرته إلى الوراء عندما دعاه أسامة على غير المعتاد لتناول الفاكهة وبرغم عداءه الواضح جلس معه يشاهد التلفاز فلم يمسك السكينة خارج بيته إلا معه ثم صمت قليلاً وعاد لذعره: -لا، استحالة أن يقتل والده من المؤكد يوجد خطأ ما، صدقني لا .

فهدأ من روعه ثم انسحب لتقابله ميرا التي رأت نور وجهه مطفأ وبريق عينيه خامد فقد كان جسدا بلا روح مما جعل روحها تبكي و الحزن يكسو عينيها وكأنه محبوبها.

نظر لها والدموع تملأ عينيه

:

-كيف عرفت بما حدث؟
فقصت عليه ما حدث ولكنها لم تخبره بما قالته سهر كيلا تمزق بقايا فؤاده لأشلاء ، فقال لها بصوت يبكي حرقة:
-أتصدقين بعد كل هذا الحب لم تأت لزيارتي؟!
ردت مع محاولة فاشلة لتخفيف آلامه:
-لاعليك، ستأتيك عاجلاً أم آجلاً وأنت لا تقلق لأنك ستخرج من هنا.
ثم خرجت لتقودها قدميها إلى حيث لا تدري، فقد قطع قلبها لما ذاقه من ظلم ليذوق عذاب الحب ، فقررت أن تعيد حبل الوصل بينهما واتصلت بها وأخبرتها أنها خرجت لتوها من زيارة يحيى وأنها أوكلت له محامياً وسيثبت براءته ويعود إليها، فقد ذاب قلبه من الشوق لها .
فأجابتها ببرود ثلج متجمد :
-أنا انفصلت عنه وأخي لايريد إخباره، وبزيارتك التالية قولي له أنت ذلك ولا تعاودي الاتصال بي لأجله.
أغلقت الهاتف لتصيب ميرا بصعقة ،فقد اعتقدت أن رد فعلها السابق ناتج عن انفعال وغضب لكنها وللمرة الثانية رفضته والهدوء يتملكها .

عند قرب حلول مساء اليوم التالي أتاها اتصال ثان من أسامة بعد أن بدأت رغبته بالسم تأكل جسده ، فحادثها بنبرة غضب كالمعتوه:

-أنت معك نقود كثيرة وإن لم تعطيني سأصل إليك وأقتلك .

لم يستطع إثارة خوفها ولو بمقدار ذرة بل أثار شكوكها أكثر بعد حديث يحيى عنه وحديثه معها بتلك الطريقة وهو لا يعرفها حتى فصمتت طويلاً إلى أن صرخ قائلاً:-لم لا تجيبي؟

فضحكت ثم قالت:-ما بك؟ لم الغضب؟ لتهدأ أولا ، فالآن سأرسل لك عنوان منزل لتقابلني فيه كي أعطيك النقود ونمضي الليلة معا.

ثم أغلقت الاتصال ليرفرف قلبه فرحا بما قالته وينسى ألمه وعطشه إلى السم ،فقرر أن يصرف المبلغ الذي كان يدخره لوقت الحاجة القصوى. عاد ليستحم ويجهز نفسه لمقابلتها وكأنها عروسه وهذه ليلة زيجتهما، وعند حلول الوقت المحدد حلق إليها وطرق الباب ففتحت له مرتدية ثوباً بدت به كأميرة من أميرات روايات الخيال، وبعد أن دخل تناولت عيناه قبل أن تلمس شفتاه من أجمل مائدة رآها في حياته، وما إن جلسا حتى قدمت له مشروبات لن يستطيع احتساءها إلا إذا ادخر شهوراً ثمن كأس منها فارتشف رشفة ثم تنفس الصعداء وكأن جبلا أزيح عن قلبه وعينيه تلتصقان بالمائدة ،وبعد أن شرب بقية الكأس رشفة واحدة أشعلت له سيجارة بدون أن تنطق بكلمة ،فقط اكتفت بابتسامة ثم بدأ بتناول المكسرات ثم الحلويات والفاكهة وكأن لا أحد معه إلى

أن كادت معدته تصرخ وقبل أن تنفجر مدد جسده على الأريكة ونظر لها باسما :-أعلم أني سحرتك بأول مرة رأيتك فيها بعد أن لمست يدك وصافحتك فلتحتسي كأسا معي .

ملأت كأسين لهما ، فشرب الأول والثاني وهي لم ترتشف إلا رشفتين من كأسها فحاول الاقتراب منها و عندما وضع يده على كتفها وضعتها جانباً بهدوء ثم قالت باسمة:

-حدد ما تريد لمسي أم قتلي.

فتعالت ضحكاته ثم أنهى الكأس الثالث ليوشك عقله على المغيب فقال لها:

-أنا لن أقتلك طالما أنك ستعطيني نقودا كلما طلبت منك .

فضحكت قائلة:

-لا أعتقد ذلك حتى وإن لم أعطك فأنت لا تستطيع قتل نملة.

فعادت ضحكاته للتحليق:

-أنت مخطئة فأنا قتلت أبي لرفضه إعطائي النقود ،وحملت جريمتي ليحيى وتخلصت من أخلاقه الحميدة معه .

كادت جفونها أن تتمزق من الصدمة التي هزت كيانها فقالت له: -وكيف فعلت ذلك؟

فأجابها أنه أخذ السكينة التي عليها بصماته عندما قطع الفاكهة عندهم وكان هدفه سرقة منزل برفقة أصدقائه، لكن شاء القدر قتل أبيه بها، ثم غط في نوم عميق بعد

أن أنهى الكأس الرابع. في صباح اليوم التالي وقف وهو يترنح يميناً ويساراً، فجلس ليعاود استجماع قواه ، ورأى ظرفا يعلوه رسالة كتب بها: -اشرب القهوة وأغلق الباب قبل أن تخرج وخذ النقود التي وعدتك بها في الظرف أمامك.

ففتحته ووجد المبلغ يكفيه لشراء ما يريده مرات عديدة ، فحاول أن يحمل نفسه ويتجه إلى المطبخ كي يحضر القهوة ليوقظ عقله الذي كاد أن يدخل بغيبوبة ،فرأى القهوة والسكر والفنجان ينتظرونه، بعد أن أفاق عقله من ثباته ليفتح عينيه ويتنقل في أرجاء المنزل لعله يجد ما يستحق السرقة بدا وكأن لا أحد يقطنه منذ مدة فقد كان فارغا إلا من الضروريات فعاد إلى غرفة الاستقبال وأكمل مسح كل الأطباق فبدت وكأن لم يوضع فيها شيء ثم مد يده ليأخذ أطباقا وكؤوسا لكنه غير رأيه ببرهة وقال في قرارة نفسه: -سأعود لآكل وأشرب بهم كثيراً أنا وحبيبتي الجديدة.

ثم أخذ النقود وأغلق الباب خلفه كما قالت له.

عادل

عاد قلبه إلى الاتكال على القدر بعد الخيبات التي تعرض لها، لعله يمنحه صدفة أخرى للقاءها تكون أحسن حال ممن سبقتها، وحتى إن لم يكتب له لقاءها مرة أخرى فلم يعد يلقي بالا لذلك ، فاللقاء الخاطئ استهلك طاقته وحماسه لرؤيتها، فتوجه بعقله وقلبه لانتظار أمه أن تفتح عينيها وتحادثه، وإلى حال توأمه فلم يعهدها من قبل سعيدة هكذا فمع جبل الحزن الذي أطبق على صدورهم كانت تجد الابتسامة طريقاً إليها ،فقرر أن يسحب ما يدور بعقلها كما تسحب الشعرة من العجين ليرى إن كان ما يدور بباله صحيح. بصباح يوم جديد احتسيا القهوة واستقلا السيارة لزيارة أمهم بعد انقطاع أيام وما إن استقلاها وبدأ القيادة سألها محاولا أن يبتسم:

-متى سيأتي فارس أحلامك ليحمل عبء ثقل دمك معي؟

ردت بابتسامة مندهشة من مزاحه المفاجئ:

-أنا؟! فليسامحك الله ، فأنا من ألطف الفتيات.

-عن أي لطافة تتحدثين؟! آخذك دوماً كسائقك الخاص لكل مكان ترغبين سموك بالذهاب إليه.

غمرت الابتسامة وجهها :
-أعتذر يا عزيزي فقد حاولت أن أحب القيادة بلا
جدوى.
صمتت لبرهة ثم تابعت كلامها بعد أن أختفت جزء من
ابتسامتها: -أعلم أنه ليس الوقت المناسب لكني أعتقد
أني وجدت من سيقود السيارة عوضاً
عنك.

أيقن بصحة ما كان يفكر به فرد بابتسامة حقيقة:
-ألا يجب أن أعرفه وأواسيه ببلواه؟
ضحكا ثم ساد الصمت بينهما ، وما إن وصلا إلى المشفى حتى طارا إلى الطبيب كي يمدهم بمثقال ذرة من أمل لكنه أعطاهم سيلا من التشاؤم . جلس عادل محطما وعاد ليختنق من الندم الذي فجر عروقه حزنا ، وهو يتخيل أمه تضحك وتتحرك في المنزل وتطهو دوماً الطعام الذي يروقه .
استطاعت أخته أن تقطع بالشاب الذي دخل حياتها رأس الهم الذي احتاجها، وتقاوم سم الحزن الذي تسلل إلى كيانها ، لكنها لم تغض ناظريها عن حال أخيها ولم تجد له مخرجا من دوامة تفكيره إلا أن تخبره بقصة لقاءها بفارس أحلامها ، فجلست قربه وحاولت أن تغير اتجاه تفكيره لتخفف آلامه، وما إن عرضت عليه أن تخبره كيف التقت به قبل أن يقابله ، حتى صدها قائلاً:
-أترين أن هذا الوقت مناسب لهذا الحديث؟
فردت بابتسامة : - وأنت ترى أن علينا أن نتصرف وكأنها ستموت غداً أم نحيا على أمل شفاءها؟!
صمت لحظات وهو يقلب كلامه برأسه يميناً ويساراً فرأى أنه يجب أن يتمالك نفسه ويستمد قوته منها ،

فابتسم بوجهها ابتسامة مكسورة وأومأ رأسه بالموافقة

فسحبته من يده ليذهبا ،ويحتسيا كأسين من الشاي لحين حلول وقت الزيارة وروت له أدق التفاصيل وهو ينظر إليها ،ويفكر أن يعمل بشهادته التي زينت الحائط كي يذهب بعقله بعيداً عن رتابة أيامه السابقة ويضيف لحياته شيئاً يغنيه عن غروره الذي عاشه سابقا، ثم ذهب عقله إلى أبيه فبرغم علمه بكل ما حدث معهم لم يتعب نفسه أن يعود من سفره يوماً لمساندتهم بل اكتفى ببضع مكالمات ومع أنهم اعتادوا على غيابه منذ نعومة أظفارهم وهو يقول دائماً: أنا أسافر إلى العمل من أجلكم ،كان يرجو عادل من قلبه الصوان أن يلين نحوهم، وبالرغم من أن شركته في بلدهم لكنه كان يقوم بتسييرأعمالها من الفرع الذي في الخارج في أغلب الأحيان، فذلك كان يمد عادل دوماً بشعور أن أبيه يتعمد ألا يبقى كي يتهرب من العيش معهم ،وقبل أن تنهي أخته حديثها قال في قرارة نفسه:

- ياليته كان فقيراً.

ثم لوحت له بيدها:

-أتسمعني؟! متى آخذ منه موعد لمقابلتك؟

رد لا مباليا: - متى تشائين.

حسام

بعد أيام من عودته أدراجه محطم القلب الذي تنهد كثيراً وتعب لأنه لم يجد بصيص أمل من كلام أي محام ، فود لو يستطيع خلق قانون يعطي فيه البراءة لصديقه لكن شتان بين الواقع والأمل و لأنه لم يعلم كيف ستقع تلك الخيبة على يحيى لم يطاوعه قلبه إخباره بما حصل معه فانقطع عنه أياماً حاول فيها أن يتناسى أنه مسجون .

استعد للذهاب مع أمه كالمعتاد ولأول مرة طلب من سهر أن تذهب معهما ولم تبد أي دهشة من طلبه فقد كانت على علم مسبق بما يريده منها وبعد أن أدخلا أمهما الغرفة سألها :

-هل ترغبين الذهاب معي لزيارة يحيى؟ .

ردت ببرود ثلج:

-أنا أعطيت الخاتم لأبيك فلتأخذه وتعطه لصديقك عندما تزوره . ذهبا للمقهى وجلسا بصمت ،فلم يستطع فهم مشاعر أخته تجاه يحيى فقد كانت عيناها كمساء الربيع تارة ملبدة بالدموع ،وتارة كانت مبتسمة لدنياها الخالية من توأم روحها لكنه احترم رغبتها المسبقة ولم يرغب بالضغط عليها، فطرقت عبير باب أفكاره لتعزله عن عالمه ،فأمسك هاتفه يعاود قراءة الرسائل التي

أرسلتها إليه من بعد صباح السعادة المنتظرة وصباح الخير ومساء الخير وكيف حالك؟ تخيل أنه من بين تلك الرسائل "أنا أحبك" فقال في قرارة نفسه: -كم أرغب في سماعها منها ولم يجد نفسه إلا وهو ينظر إلى الباب متخيلا قدومها ،وفجأة أطلت أمامه فتحدثت أفكاره عنه بصوت منخفض وهو لا يعي أن أخته تسمعه :
-وكأن خيالي بات حقيقة.

نظرت إلى الباب لتجد عبير وكأنها تبحث عن أحد ، فتبدل حالها فجأة ونظرت له ثم تعالت ضحكاتها :
-إنها حقيقة وليست خيال. ثم قفزت من مكانها وتمايلت كغصن شجرة وهي تلوح لها ونادتها ، نظرت عبير لهما وضحكت عينيها ،وعندما وصلت لهما صافحتهما بحرارة وجلست على الفور من غير أن يدعياها للجلوس ، فأحست سهر أنها كجدار الفصل بين عصفوري الحب المستقبلي، وهي تراقب حديث عيونهما فانسحبت برفق لتحضر القهوة لهما، مما أسعد حسام لنباهة أخته وما جعل قلبه يغرد أكثر أنه أرسل في اليوم السابق رسالة لعبير أخبرها بها بالتوقيت الذي سيذهب به للمشفى مع أمه وأنه يتمنى إشراقة وجهها، فأيقن أن حضورها فتح باب الحب أمامه وبعد دقائق من الصمت سألها مبتسماً بقوة قلب عاشق: -ألا تعتقدين أننا يجب أن نلتقي في مكان غير المشفى ونتحادث بغير الرسائل النصية؟.
نظرت له بخجل فتاة صغيرة:
-نعم ، أعتقد ذلك.
ثم تعالت ضحكاتهما بصوت واحد فجذبا انتباه كل من في المقهى، فقطعت سهر الانسجام قائلة: -أضحكاني معكما.

رد حسام رافعا حاجبيه: -ضحكنا لا يتحمل شخصاً ثالثاً.
فردت بدهشة مازحة: -أتغار عليها مني؟!

مما جعل عبير تشعر أن وجنتيها تشتعلان من حمرتيهما ،فأمسكت كأس القهوة وسرحت ببصرها لبرهة ،ثم أرسلت رسالة لحسام :-لقد حققت أمنيتك الأولى ولتحقيق الثانية أراك ظهر الغد في حديقة الأحلام.

ثم وقفت لتودعهم فبانت على وجهه علامات الحزن لرحيلها ،فلم يلق بالا لهاتفه فقد كان منشغلا في التحديق بملامح وجهها وعندما خرجت لحقت روحه بها وتاه عقله في خيال مستقبله معها، وعندما حل الليل وقبل أن يخلد إلى النوم أمسك هاتفها ليرسل لها تصبحين على خير فرأى تلك الرسالة وكاد أن يطير وهو جالس على السرير، فأسرع إلى الغرق في بحر أحلامه ليمضي الليل سريعاً راجياً أن تهون عليه وقت نومه بمرور طيفها في أحلامه.

عندما فتحت السماء عينيها، استيقظ وجلس يسترجع المنام الوردي عندما رآها وأهداها وردة حمراء رسمت بسمة على وجهها وتلونت وجنتيها بلونها ،فأدرك أن عليه ألا ينسى الوردة الحمراء فاسمها ارتبط بعقله بعبير الورود . أمضى ساعات الصباح الأولى بصحبة أمه ومراعاتها فلم يعد يفسح لها مجالا أن تدخل المطبخ، وترهق نفسها كالسابق ثم أعطاها الدواء بيديه

كي يضمن ألا تنساه ثم جاء الظهر المنشود فارتدى أجدد ثيابه ،وصفف شعره ليبدو بأبهى مظهر بعينيها، ثم ذهب على الموعد المحدد وانتظرها أمام باب الحديقة ولم ينس الوردة التي زارت منامه ،ولم تمر دقائق حتى أطلت كملكة من ملكات الأساطير بفستان أزرق تسير نحوه والهواء يداعب الشلال الأسود ليعانق وجهها وهي تصيب عينيه بنظرات السهمين الأسودين وعندما وصلت إليه وقعت عينيها على الوردة فصافحته وألقت التحية بسعادة مضاعفة ،فأعطاها الوردة ليحلق قلبها من بساطته الرومانسية التي لطالما عشقتها وتمنت أن تعيشها، فأضحك بذلك التصرف عينيها الحزينتين، فسعد قلبه لأن عينيها خلعتا ثوب الحزن بسبب وردة وأدرك بنفس الوقت ثقل الهم الذي حاصر قلبها وأحزنها وهما يسيران داخل الحديقة بصمت أول بضع دقائق وكأنهما يراقبان خطوات بعضهما، فقطعت الصمت قائلة: -كيف حال أمك؟

نظر لها وسرح بعينيها صامتاً فلوحت بيدها أمام عينيه فرد قائلاً: - ماالذي كان يحزنك في أول مرة رأيتك فيها؟
تنهدت مبتسمة ثم جلست على أول كرسي قابلها وجلس بقربها ينتظر أن تخبره بحماس ، فاحرقت حماسه قائلة :
-سأخبرك بالوقت المناسب.
فرد كطفل تحطم أمله بشيء لطالما انتظره:
-ومتى سيأتي ذلك الوقت ؟ بعد عشرين عام.
ضحكت لرد فعله العفوي، ثم أعادت تذكيره بما قالته مسبقاً، بأنها لا تفصح عن حياتها الخاصة لأحد لا تعرفه ، صمت قليلاً وهو يشعر بالذنب نحوها بسبب فضوله فاحترم رغبتها واعتذر منها وقرر عدم سؤالها مرة أخرى على الإطلاق .
على الرغم من انجذابها إليه ،لكنها لم ترغب أن تفصح عما أهلك قلبها وتجعله يتغلغل في أعماق حياتها، لخوفها أن يخونها إحساسها ويكن كأقرانه من الشباب يرتدي ثوب الخداع ويمارس دور المحب. التزما الصمت لدقائق أخرى وهما يشاهدان المارة بدون أن يفكرا بماذا سيتحدثان ، فاستأذنها ليذهب ويحضر كأسين من الشاي وفي طريقه شعر أن عليه أن يجعلها

تعرف كل تفاصيل حياته كي تشعر بالطمأنينة والراحة نحوه، ولا يخفي عنها شيئاً حتى لو كان تافها كي يكسر حاجز الصمت الذي تخاف هي أن تكسره وعندما عاد حكى لها عن طفولته ومراهقته اللتين لم تكونا طائشتين كأقرانه من الأطفال والشباب ، فقد كان وبرغم صغر سنه واعيا متفهما لما حوله ،ولم يغب عن ذهنه أن يخبرها عن عشقه لأمه الذي لا يضاهيه عشق، فدائماً يتحدث عنها بأنها ينبوع الحنان والمحبة ولمساتها في المنزل تجعله يشع بالدفء غير أن ابتسامتها تشحن الأجواء بالسعادة، ولم ينس حبه لأخته التي بحركاتها الطفولية وجنونها تمد المنزل بالحيوية وهو يشعر دوماً بالمسؤولية نحوها وكأنها ابنته ،لكنه لم يتجاهل يوماً أبيه في حياتهم فهو شريان المنزل يحتضنهم بأسوء أحوالهم ويستوعب أغلاطهم ليرشدهم بالكلمة الطيبة فعائلته المتحابة، كان يراها مثالية في عينيه منذ صغره وكلما كبر زاد ذلك الشعور عنده.

تمنى بتلك الكلمات أن يكون قد زرع بذور الطمأنينة داخل قلبها ،وقد كانت تصغي له بكل جوارحها ولم يكن يعلم أن إصغائها له بذلك الشكل كان لأول مرة في حياتها ،فلم تكن تصغي حتى لأساتذتها في كل المراحل الدراسية وعندما أنهى حديثه قال لها:

-أعتذر بالنيابة عن لساني الذي لم يتوقف.

ضحكت من قلبها وهي تجيبه:

-لا عليك، وكف عن الاعتذار ،فأنا سعيدة لسماعك.

لم يشعرا بمرور ساعتين من الوقت لولا أن أتاه اتصال من سهر جعله يتحول لفهد يعدو بسرعة الريح بعد أن قال لعبير وبدون أن ينظر إليها: -علي الرحيل الآن.

أحست بالقلق عليه لذهابه بتلك الطريقة، فأرسلت له رسالة نصية طلبت منه أن يخبرها ماذا حدث عندما يسمح له الوقت . أثناء طريقه إلى المنزل كان بنفس الحال اللذي عاد به من السفر مغيبا عن وعيه يتسائل عن حال أمه ،وأقدامه تسابق الريح وعندما وصل وجد أمه منهكة وسهر تساعدها على ارتداء ملابسها للذهاب إلى المشفى فأسرع لأمه وقبل يديها ووجنتيها بذعر والدموع تغرق عينيه :

-لا تقلقي ، ستكونين بخير
أمسك يدها وساعدها لكي تستند عليه ريثما يصلوا لسيارة الأجرة، وطوال مسيرهم كانت ضربات قلبه تطرق مسامعه، وعندما وصلوا أدخلوها من قسم الطوارئ وبوقت فحص الطبيب لها ،كان قلبه يرتعش من الخوف وهو يحاول أن يتمالك نفسه ويساند أخته التي تدفقت الدموع من عينيها، فقد كانت تلك اللحظات الأصعب في حياتهما وبعد انتهاء الطبيب خرج وأخبرهما أنه وضعها يزداد سوءاً يوماً بعد يوم واحتمال مفارقتها للحياة موجود وربما قريب .
تلقيا الخبر كخنجر طعن قلبيهما ومزقهما أشلاء فجلس حسام بعد أن تملك الخوف فؤاده ، وانهمرت الدموع كسيل على وجنتيه وهو يقول:
-أيعقل أن تودع حياتنا قريباً ؟!
فمسحت سهر دموعها وجلست قربه تحاول التخفيف عنه ، إلى أن أتى والدهما وقام باحتضانهما ومدهما بشيء من القوة كي يساندا أمهما ،وبعد أن عادوا إلى المنزل عاد حسام لانطوائيته بغرفته حيث جلس على سريره يحدق في الجدران بدون أن يسمح لنفسه أن تفكر أو تحادثه بكلمة، فقرر النوم قليلاً وهو منهك من الحزن وقبل أن يغمض عينيه نظر لساعة هاتفه، وإذ

برسالة واردة من عبير
وبرغم

حزنه أحس أن ثقله خف على قلبه لأنها تشاركه قلقه، فأرسل لها رسالة واعتذر منها عن ذهابه مسرعاً فقد ساء حال أمه فجأة . بعد أن أرسلها تمنى لو أنه يسمع صوتها في تلك اللحظة لكنه خشي أن يسبب لها مشاكل مع عائلتها فهو لا يعلم شيئاً عنها ، ثم عاد ليغمض عينيه وإذ بهاتفه يرن فأمسك ليرى من المتصل فكان اسمها. لم يصدق صلة الأرواح بينهما فرد عليها وسمع صوتها بدون أن يفهم لبرهة ما تقول فقد كان مرهما كمسكن خفف ألم قلبه، فعاد لوعيه عندما نادته:

-حسام ، حسام أتسمعني؟

-لا ، أعتذر أعيدي ما قلتي.

-أيمكنني أن آتي غدا لأزور أمك واطمئن عليها؟

فرحب بقدومها وقفز من مكانه هو وقلبه معا ،وكأنها تخبره أن أمه قد شفيت .

وفي اليوم التالي استيقظ باكراً كي يرتب المنزل قبل استيقاظ أهله ويرى ما ينقصه كي يقوم بإعداد الغداء ويعرف رأيها بطهيه. وعندما استيقظوا جميعاً أخبرهم بضيفة الشرف التي ستنير المائدة على الغداء فأسعدهم قدومها وكأنها فرد من العائلة ، فلم يرغب أحد أن يشعر شمعة المنزل أن وضعها ميؤوس منه وقرروا أن

يعيشوا معها وكأن شيئاً لم يكن . طرقت
عبير

الباب وبخطوة واحدة وصل حسام للباب كي يستقبلها فرأى باقة الزهور بين يديها حديقة من الأزهار، فرحب بها بصوت كان على وشك الغناء. جلست بعد أن حيتهم جميعاً وفي هذه المرة عادت لمعة الحزن لعينيها فشعر أن الحزن هاجم قلبه دفعة واحدة وأخمد بسمته فجأة ،مما أثار انتباه أخته التي حاولت أن ترجع البسمة على وجهه بأن تدعهما بمفردهما، وتحضر طاولة الغداء كي ينطقا بكلمات يمسحا بها الجو الكئيب الذي سيطر على الجلسة ،لكن ذلك لم يعد بأي فائدة فلم تقل عبير شيئاً سوى أن تمنت لأمه الشفاء العاجل وأعطتها الزهور وتناولت بضع لقيمات وتشكرته عما صنعت يداه ببسمة أخبرته أنها حزينة ،فلم يرفع ناظريه عنها لحظة واحدة، مما جعل قلبه يتمزق أشلاء صغيرة لحالها ولم يجرؤ أحد على سؤالها حتى لا يسببوا الإزعاج لها، ولم تتجاوز مدة زيارتها الساعة حتى ذهبت وذهب عقله معها ليصل له رسالة منها آخر المساء تطلب منه أن تقابله في نفس الحديقة بنفس الوقت السابق لتحادثه بما أراد سماعه منها ،فبدأ ينتظر مرور الوقت بلهفة عطشان لشرب الماء.

نهاية الفصل العاشر

يحيى

قضى أيامه وهو يعارك ذاته في ظلمات السجن ، يقاوم شبح الموت الذي يريد أن يستحوذ عليه ، فعاش حلم البراءة والحرية في خياله كي يفصل نفسه عن واقعه ويتمسك بنور وجهها الذي كان يضيء حياته ويجد به سبيلاً للخلاص . مع حلول أول جلسة محاكمة له ومع تقديم مرافعة محاميه وما أولى بخصوص أسامة ، قدم فيديو يظهر فيه اعترافه الصريح بقتل أبيه وإلحاقه التهمة بيحيى ؛ فقد عمدت ميرا أن تضع آلة تصوير صغيرة موجهة نحو وجهه أمام المكان الذي تعمدت إجلاسه فيه، وأن تقدم له المشروبات الكحولية التي تسرق لب أقوى الرجال من أول رشفة ، فقادته بذلك إلى الاعتراف بفاه عما اقترفت يداه .

وبذلك منحت يحيى البراءة كما تمنح الأم الحياة لمولودها الجديد ، كانت تلك اللحظة وكأنها زفافه على سهر، فقد غمرت السعادة قلبه كالسابق وفاضت لتملأ عقله وكيانه وأيقن أن البراءة ستعيد إليه حب حياته، فسبقه قلبه بلحظة خروجه للقاءها لكن لم يكن بانتظاره سوى حسام وميرا فلم يستطع لسانه أن يتحرك واكتفى بابتسامات وزعها مناصفة عليهما مع عناق لصديقه

،وهما بالمقابل التزما الصمت طوال الطريق لمنزله فقد كانا يعلمان مقدار خيبته من حبه الوحيد. كانت ميرا

تقود وعينيها تراقب وجهه من المرآة وعندما وصلوا استأذنت لتذهب وتحضر الطعام ،ومع محاولة حسام الذهاب عوضاً عنها لكنها أصرت أن تذهب كي تدعه مع صديقه لعله يستطيع أن يحسن من مزاجه ، صعدا للمنزل وذهبت ميرا وما إن انتهى يحيى من حمامه الساخن حتى عادت ميرا تحمل الأثقال واتصلت بحسام كي ينزل ويساعدها وبآن واحد تطمئن على يحيى فأخبرها أنه لم يفتح فاه بكلمة وكأنه تعمد أن يقضي أطول وقت بالاستحمام . جلسوا لتناول الطعام فلم يجد حسام سبيلاً لإبادة شبح الصمت إلا أن يخبر يحيى عن حال أمه وكيف أتاها متبرع من حيث لم تحتسب لكنه تحفظ أن يخبره بالأمور التي ستحرق فؤاده ، فغرد قلبه فرحا لأنها عنده بنفس مرتبة عشق أمه . جلست ميرا معهما طوال تلك الساعة بدون أن تنطق بكلمة وهي تتعارك مع ذاتها فقد كان عقلها يرغب أن تخبره بقرار حبيبته كي ينساها وبنفس الوقت كان قلبها يردعها عن ذلك كيلا تقتل روحه لكن استطاع عقلها أن ينتصر ويجبرها على إخباره وهي تخطو خارج الباب من دون أن تلتفت إليه قالت:

-إن سهر أنهت علاقتها بك وحسام لا يريد أن يجرحك .

أمسكها من يدها وأدارها نحوه:

-ماذا قلت؟!

نظرت له وقلبها يؤنبها بسبب الحزن الذي اكتسى به وجهه

لكنها ردت بقوة :
-كما سمعت ، لتكن قوياً فهي لا تستحق حبك.
ومع أنه قد راوده ذات الحزن بفقدان أحبابه، لكنه ابتسم ابتسامته المكسورة وتشكرها للمرة العاشرة على وقوفها بجانبه ثم ودعها ولم يعقب عليها و كأنها ماتت بالنسبة لقلبه، والتفت ليرى حسام وهو خافض الرأس وكأنه المذنب بتخلي أخته عنه فنظر له بارتباك واعتذر له وهم بالرحيل فاستوقفه يحيى على الباب وعانقه:
-مهما حصل ستبقى أخي .
فرد حسام بالمثل ثم رحل ليترك يحيى وحيداً كما كان وعينيه كغيمة شتاء تشعر بالأسى على حاله؛ ولكن ذلك لم يمنعه في اليوم التالي من الذهاب للاطمئنان على حال أمه لعله يلمح طيفها ولعل قلبها يحن عليه . جاءت اللحظة التي أخافت قلبه وجعلته يخفق بلا توقف ليؤلم صدره فطرق الباب بوقت الغداء ليضمن وجودها وإذ بها تقف كتمثال أمامه تنظر له بدهشة وهو يروي عينيه من شوقه لها مع علمها أنه عرف بإنهاء علاقتها به، فانتفضت بسرعة ودعته للدخول ثم أسرعت إلى أمها وأخبرتها بقدومه فخرجت إليه بابتسامتها العطوفة وهنأته بالسلامة وجلست معه لتشاهد التلفاز بعد أن اطمأن على صحتها ريثما يعود حسام من السوق وأبيه

من العمل . أنهت سهر تحضير المائدة وعمدت ألا تجلس بغرفتها منعزلة عنهم كيلا يظن أنها بدأت تحن له .

اجتمعوا على الطاولة كما كانوا منذ سنين لكن في هذه المرة كان شملهم يفتقر إلى المودة والحب الذي كان ينعكس عليهم من شعاع عيني العاشقين وما إن انتهوا من الطعام حتى أكدت سهر على أبيها أن يعطه الخاتم ويؤكد عليه انتهاء العلاقة كليا بلا رجعة وأنها سترتبط بغيره قريباً .

كانت تلك الكلمات عالقة بحنجرته غير أنه أحس بتأنيب ضميره لظنه السوء بيحيى فقرر أن يخبره نصف ما طلبت ابنته منه ولم يطاوعه قلبه أن يخبره بارتباطها بغيره . سحبت سهر بنظراتها أمها وأخيها كي يدعا أباها يجلس بمفرده معه فيقنع يحيى بجدية قرارها ، كان تأكيد انفصالها عنه لم يقل عن الأخبار الفاجعة التي سمعها من قبل، فواسته ابتسامته المكسورة ثم أخذ الخاتم وأعتذر ليذهب مسرعاً بدون أن ينطق فاه بكلمة أخرى ، فشعروا جميعاً بالأسى لحاله إلا سهر التي انفرجت أساريرها لتحررها من قيد العلاقة.

عاد يحيى إلى منزله والألم يعتصر قلبه بلا شفقة وجلس يذرف الدموع بصمت قاتل :
-لقد تبدل حبها كراهية لم أعهدها عليها قط لكن لم؟!
ماذا فعلت لها؟ لم أؤذها بكلمة واحدة حتى تمزق قلبي ألما
ردد تلك الكلمات مراراً وتكراراً إلى أن أرهقه الحزن واستسلم للنوم لتوقظه ميرا في اليوم التالي على رسالة بها عنوان شركة أبيها تطلب منه القدوم عند الساعة العاشرة كي يلتقي به لأمر هام ، ذهب على الموعد المحدد ليجدها تنتظره عند باب الشركة والبسمة تعلو وجهها :
-أهلا بك موظفاً في هذه الشركة .
وقف لحظة ينظر لها بدهشة مع شبه ابتسامة ثم قائلاً:
-نعم!؟ ثم استعجلته كي يصعدا بسرعة فمديره بانتظاره ، عندما صعدا ليقابلا أبيها رحب به وكأنه على معرفة سابقة معه وشرح له آلية العمل وطلب منه القدوم غداً ليبدأ أول يوم عمل معهم . خرج من مكتب المدير وشعر لبرهة أن ما حصل كان مجرد حلم :
-أنا الآن وجدت عملا رائعاً وبدون أن أبحث؟

سار في أروقة الشركة وهو يمعن النظر بالبناء الأنيق الفاخر بأثاثه وجدرانه بدون أن يعي أن ميرا تنظر إليه والبسمة تغمر وجهها فاستوقفته قائلة: -نحن هنا .
ابتسم ثم تشكرها وقال:
-أرشديني لمكتب زوجك لألقي التحية عليه قبل ذهابي.
طاحت بنظرها أرضاً وأخفى الضيق ابتسامتها:
-إنه مسافر وسيطول غيابه قليلاً.
فاستأذنها ليذهب وينهي أوراقاً طلبها منه مديره الجديد قبل الغد ،وكم تمنى لو كانت سهر تشاطره فرحه بيومه الأول، لكن ميرا كانت مكانها فلم تدعه وحيداً فقبل ذهابه دعته لتناول الفطور، وبأول يوم له دعته على الغداء ثم احتساء القهوة بعد انتهاء عمله، ولم تكتف بذلك بل أحضرت العشاء معها إلى منزله ليتناولاه معا ولم يتوقف عن شكرها من أول اليوم لآخره وهي تقول له :
-لا داعي لذلك فأنت لا تستحق سوى الخير.
لكنه لم ير شيئاً يستطيع أن يرده لها سوى الشكر .
مضت شهوراً ولم تفارق خياله عندما يغادر عمله فقط ،فهو لم يسمح لشبحها بتعكير صفو عمله فقد أثبت نفسه ومنحها أهمية عند مديره وبين زملائه وكأنه أمضى سنين عمره موظفاً بتلك الشركة، وميرا أصبحت لا

تفارقه حتى داخل عمله فقد عادت للعمل بعد أن استقالت عندما تزوجت احتراماً لرغبة زوجها، فحاولت قدر الإمكان أن تخرجه من سجن عشق سهر، لأنها رأت فيه الصدق والوفاء والإخلاص الذي لم تره برجل قط إلا بأبيها الذي رفض أن يتزوج بعد وفاة أمها، فلم ترغب ليحيى أن يعيش دفين ماضيه فأصبحت تدعوه دعوات شبه يومية على الفطور والغداء وتدعو نفسها عنده على العشاء حتى سمح لنفسه أن يتدخل في حياتها الخاصة فكانت إجابتها صادمة له.

عادل وحسام

لم تكن راضية يوماً عن غرامياته التي كان يقصها عليها مع كل فتاة ينشر سم حبه في كيانها ،ومع خجلها مما فعل توأمها عادل لكنها لم تبد لحسام ذلك حتى من نبرة صوتها ،ومع إنهاء حديثها طلبت منه موعداً ليقابل أخاها ليتعرفا على بعضهما ، فاتفقا على موعد بعد يومين مساءاً بمطعم قريب من ذات الحديقة ثم اعتذرت منه وذهبت إلى المشفى لتزور أمها قبل العودة إلى المنزل ومع أنها أفصحت له عما أرهق قلبها لكنها لم تفتح له باب الدخول إلى صميم حياتها، فلم تخبره عن مكان منزل عائلتها الفاخر ورخاء عائلتها المادي وهو لم يسمح لنفسه أن يسألها شيئاً بل اكتفى بالإنصات بكل جوارحه لما تقول، ومع أنه قد انتابه شعور بالضيق من عادل قبل أن يراه وانتقد بداخله تصرفاته الرديئة التي لم يجد لها مبرر، لكن سرعان ما انتزع ذلك الشعور من داخله لكيلا تظهر عليه حين يقابله أول مرة خوفاً من أن يلحق الأذى بعبير . لم ينس أن يخبر سهر عما استجد معه وبمجرد أن أخبرها عن موعدهم أصرت أن ترافقه أو تراقبهم بدون أن يروها لكنه، رفض ووعدها أن يخبرها عن تفاصيل لقاءه بأخيها، لكن فضولها بدأ

يلتهم أحشائها ولم تستطع كبحه ، فواعدت صديقة لها بنفس الوقت وبدأت تعد الساعات ليحين الوقت المنتظر وكأني ستجني كنزا بعد انتهاء اللقاء

.

وصلت قبل الموعد المحدد بنصف ساعة وجلست مع صديقتها على طاولة توارت بها عن الأنظار ، كي لا يعتبرونها من الطفيليات وتفسد بذلك لقاءهم، فقد كانت ترغب برؤية ذلك الشرير توأم الفتاة الرقيقة ،وما إن وصل حسام قبل الموعد بربع ساعة حتى نبهتها صديقتها واستمرتا بمراقبته وهو ينظر لساعته مع مرور كل دقيقة ويراقب المارة بجانب المطعم، فلم يلحظ أن أخته معه بنفس المكان ؛ إلى أن أطلت عبير في الموعد المحدد برفقة عادل لكنه لم يكترث لأخيها فقد كانت عيناه تنظر لها في كل مرة وكأنها الأولى.
ألقى عادل التحية على حسام بابتسامة بدا وكأنه أرغم عليها تحت تهديد السلاح . بدأ حسام يتحدث عن تفاصيل حياته من قرار سفره إلى الوقت الحالي محاولا خلق جو من الألفة بينهما وعادل يكتفي بالإيماء له وهو يسمع نصف الكلمات وتضيع منه كلمات أخرى لكن عبير كانت تستمع له وكأنها المرة الأولى التي تسمع بها حديثه وسهر تراقبهم كجاسوسة محترفة ،وتشتغل غيظا من رؤية عادل لكنها حاولت أن تتمالك نفسها كثيراً كيلا تضايق أخيها بتصرف طائش ،فكادت أن تطحن أسنانها فقد كانت ترغب أن تصفعه من أول مرة رأته فيها، فنهضت من مكانها وذهبت نحوهم وقالت:

-مساء الخير، ما هذه الصدفة الجميلة

.

وصافحت عبير مبتسمة وقبل أن تنطق بكلمة ،وقف عادل وجفونه أوشكوا على التمزق ،فمد يده مصافحا بعد أن امتدت ابتسامته من أذنه اليسرى إلى اليمنى، فنظرت ليده باحتقار من غير أن تمد يدها فانصعق حسام لغرابة تصرفها فقال لعادل بارتباك : -إنها أختي سهر ،لتجلسي معنا.

ودعت صديقتها وجلست وسرعان ما تبدل حال عادل فاستلم زمام الحديث مع حسام وكأنه يعرفه منذ سنين وينظر له بعين واحدة والأخرى تسرق نظرات عليها، لكنها لم تحتمل صوته فوقفت لتغادر إلى المنزل فانتفض عادل من مكانه وأصر على أن يقلها بسيارته ، فرد حسام مبتسماً :

-لا تتعب نفسك سنستقل سيارة أجرة .

لكنه لم يوافق وكاد أن يرجوه فشعر حسام أنه سيذوب من الإحراج ،ثم نظر لسهر وعينيه ترجواها ألا تعترض وقال لها مازحاً:- هيا يا أختي، كي تتشاركي أحاديث الفتيات مع عبير ولا تؤلمي رأسي بها .

فأومأت رأسها بالموافقة ،ثم خرجوا باتجاه سيارة عادل التي جذبت نظرها كمغناطيس ثقيل فالتصقت عينيها بها ، جلست سهر في الخلف بجانب عبير تمعن النظر بكل جزء داخل السيارة فلم ترغب عبير بقطع انتباهها خوفاً

من مضايقتها، أما عادل حاول أن يحيك حبال صداقة مع حسام ويتكلم بأي كلام يخطر على باله بمساعدة عبير كي يقوي علاقته
بهم

أكثر ويستطيع بذلك أن يدخل سهر في حياته. شعر أنه أوصلهم إلى المنزل بطرفة عين ، فأصر على دعوتهم في اليوم التالي على الغداء وتبادل أرقام الهواتف مع حسام، ثم التفت نحو سهر ودعاها أن ترافق أخيها لكنها نظرت له بضيق حاولت كبحه وبدون أن تنطق كلمة ،فارتبك قلبه خشية من أن ترفض ،فقال لأخته بصوت يرتجف:

-عبير، ادعيها أنتي لتأتي مع حسام .

نظرت لها بابتسامة تشع ودا ومحبة:

-سهر، نحن الآن صديقتان ويجب أن نقضي أوقاتاً أكثر مع بعض، لذا سأنتظرك غداً مع حسام.

ارتسمت الابتسامة الصفراء محاولة إثارة غيظه:

-من المؤكد سآتي يا صديقتي.

فدق قلب عادل دق طبول الفرح ثم ودعوا بعضهم منتظرين قدوم الغد للقاء التالي ، سعد حسام لذلك الترحيب والألفة فقد أيقن أن علاقته بعبير ستتكلل بالحب والزواج والانسجام الأسري ،وعندما دخلا إلى المنزل لم تنتظر برهة فسحبته من يده لغرفتها وأخبرته أن عادل هو الشاب الذي أخبرها بحبه بلا سابق إنذار عندما استأذنته هو وعبير لتذهب لصديقتها في المشفى

، عندها فهم حسام تبدل
حال

عادل المفاجئ فصمت قليلاً وتنفس الصعداء، ثم طلب منها ألا ترافقه إن كان ذلك سيزعجها ، ولم يتفاجأ من رغبتها وسعادتها بمرافقته فهو يعلم أن فضولها ترعرع معها ، لكنه لم يتوقع إطلاقاً أن سيارة عادل الفاخرة مارست بلحظة تأثيرها الساحر كتعويذة أسطورية وغيرت رأيها اتجاهه .

في اليوم التالي أرسل عادل سيارته الخاصة مع السائق في الموعد المحدد ،فحلقت سهر لذلك التصرف الذي جعلها تشعر وكأنها مالكة السيارة خاصة عندما فتح السائق أمامها الباب لتدخل فهمست لأخيها بأذنه والفرح يغمر صوتها:

-أخا حبيبتك ذو ذوق رفيع.

نظر لها بدهشة مبتسماً من تغير رأيها المفاجئ، كما يتغير الطقس في الربيع ،ثم حاولت أن تعيش لحظات وصولها للقصر الملكي بكل كيانها فكاد عقلها أن يصدق ماهي عليه. عندما وصلا كان شكل القصر من الخارج كفيلاً بصعقها فقد كانت ترى أمثاله بالأفلام فقط ،عندها هرول البواب إليهما ورحب كثيراً خاصة بها، فكاد أن يقبل يديها غير مدبرة المنزل التي رحبت بها وكأنها سيدتها منذ طفولتها .

أما عادل كان ينتظرها وهو يتلوع شوقاً حيث عاد لتألقه كما كان في سابق عهده محاولا أن يسرق انتباهها كي يحن

قلبها عليه لكن عينيها لم تريا سوى الأثاث الفاخر والتحف التي زينت المكان ،وخاصة عندما تاهت بين الأطباق فلم تستطع أن تجمع شتات تركيزها بين ما تحوي طاولة الطعام والأطباق التي تحوي الطعام، فالثراء بدا واضحاً بكل تفصيل تقع عيناها عليه ومع وجود نادل يقدم الطعام لهم فقد وضع عادل نادل خاص لها، وهو يتمنى بكل لحظة أن تزيل ستارة الضيق منه وتسمح له بمحادثتها كما لو أنهما يجلسان ببستان أخضر والهواء يلين أعصابها المشدودة ،وبعد الانتهاء من تناول الطعام وضعوا أفخم الحلويات والمشروبات والفاكهة ،وتولى عادل قيادة الحديث مع حسام طوال الوقت، وعبير أخذت سهر لغرفتها وجلستا لنصف الوقت وهي تحاول أن تجعلها تشعر بالراحة معهم كي لا تردع أخيها ،لأنه روى لها ما حدث بلقاءه الأول معها ، وأخبرها أنها هي التي عشقها فؤاده. أخرجت أمعاء خزانتها لتريها لسهر قطعة تلو الأخرى وبكل قطعة كانت تقول لها :

-إن أعجبتك تستطيعين استعارتها مني، أو أخذها إن شئت.

وهي ترفض بخجل إلى أن طفح بها الكيل فلم تستطع أن ترى تلك الثياب التي كانت تشاهدها في واجهة

المحلات الفاخرة ولا تستطيع شراء قماشها حتى فقالت لها:
-أنا أحببتك من أول مرة رأيتك فيها وكأنك أختي ولا يجب أن أخجل منك،
صحيح؟

رد عبير بالموافقة فتبخر خجلها بالهواء فقالت سهر:
-لقد أعجبتني هذه القطعة وهذه وهذه وهذه وهذه.
اندهشت عبير بسعادة ،وأيقنت أنها استطاعت كسب قلبها ووضعت لها الملابس بأكياس تلك المحلات ثم أعطتها بضعا من قطع المجوهرات التي تليق بها ،فوقفت كتمثال ولمعت عيناها فلم تصدق ما حصلت عليه ولم تتردد لبرهة بالموافقة .شعرت بتلك اللحظات أن حلمها قد تحقق واكتملت صورة الفتاة الغنية بعينيها ،وعندما أطلا على العاشقين اللذين كانا يحاولان التحدث بأي شيء كي يمضي الوقت وتعود أميرتيهما، فقال عادل : - تركتمانا كل ذلك الوقت ؟
وعينيه غارقتان بوجه سهر وقبل أن ترد أخته أسرعت سهر بالرد عليه قائلة:
-كي تشعران بفرق الوقت معنا وبغيابنا.
فرد ببيت شعر: - لا داعي لذلك فغيابكما جمر يكوي ساعاتنا. نظر حسام للأكياس متسائلاً :
-ما تلك الأغراض؟ فردت
عبير:

-وجدت أن هذه الثياب تليق بسهر فطلبت منها أن تستعيرها وترى ذلك بنفسها.
فعقد حاجبيه وانقلب حاله: -لاشكرا ، لانريد
فكادت عينا سهر أن تهطلا مما جعل قلب عادل يحترق فقال له وصوته يرجوه بالموافقة:
- يا أخي لندع الفتيات يتشاركن بما يردن وبالمرة القادمة ستستعير عبير من سهر.
صمت حسام والضيق يعتصر قلبه ،فقد شعر للحظة أن سهر القديمة قد ضاعت لتخلق واحدة لم يترعرع معها قط، فاعتذر منهما لأن أمه بالمنزل وحدها منذ وقت ،فأصر عادل أن يوصلهما ؛وكلما كان يقترب من منزلهما كانت روحه تؤلمه لأنه على وشك مفارقتها أما سهر فقد احتضنت الأكياس بعينيها وهي تتخيل نفسها ترتدي تلك الثياب أمام صديقاتها وتتفاخر بجمالها الذي سيتضاعف مع الأناقة الباهرة ، لكن حسام التزم الصمت والضيق بدا واضحاً عليه مع محاولة عادل أن يخرجه من حاله المفاجئ وهو
يقول:

-أريد أن أتذوق الطعام الذي تطهوه بيدك فقد أعجب عبير كثيراً، وما رأيك أن نشترك معا بناد رياضي، سنزوركم قريباً وستعيدون زيارتنا كثيراً وبدون أعذار يا أخي .

لكن حسام كان يرد بالموافقة فقط مع ابتسامة ثقيلة، وعندما دخلا هرولت سهر لأمها كي تريها ما أعطتها عبير فاكتفت أمها بالابتسامة لسعادة ابنتها ،وبذات الوقت دهشت من تبدل حالها فلم تكن تبهر بثياب قط، وكان حسام يراقب سعادتها بصمت لكن عندما أخرجت المجوهرات رد بصعقة غاضبة:

-ماهذا أيضاً؟ لم تقولي أنها أعطتك مجوهرات ، أتعلمين كم تساوي القطعة بالنسبة لنا ؟ بماذا ستبادلينها أنت ؟

فاندفع وذهب لغرفته لينطوي على نفسه وهو يفكر بغنى عائلة عبير الذي يضاهي عائلته أضعافاً مضاعفة، ولم ينتبه

لثيابها من قبل فغير أن وجهها احتل عقله كانت إطلالتها بسيطة ورقيقة بدون مبالغة كما تبدي الغنيات .حرك تبدل حال أخته ضيقه من الفارق المادي الشاسع الذي حاول إخفاءه عندما رأى سيارة عادل فلم يتوقع قط أن يضعه القدر، بمثل هذا الاختبار وعندما أرسلت

عبير رسالة له لتطمئن إن استمتعا بزيارتهم لم يستطع أن يرد عليها .

وما إن عاد عادل حتى أسرع لأخته كالفهد كي يطلب منها رقم سهر، ومع أنها نصحته أن ينتظر ساعة فقط كي تكلمها أولاً وتسألها إن كانت لا تمانع ذلك كي يضمن عدم صدها له، لكنه لم يتوقف عن الإلحاح عليها ، وهي تتجاهله والأحاسيس تتصارع داخلها ما بين رغبتها بأن لا تتطور علاقة أخيها بسهر وبذات

الوقت أن يزدهر حب أخيها كحبها فقد لاحظت على سهر النفور من عادل، ولم تستطع أن تخفي انبهارها من وضعهم المادي. مضت الساعة عليه كسنة ثم أقلع إلى أخته يطلب منها الاتصال بسهر ووقف بجانب أذنها ليسمع صوتها وبعد أن تبادلتا التحية اطمئنت عبير أن كل شيء أعجبهم، وأخبرتها أن ذلك من تنظيم عادل وأنه يريد أن يأخذ رقمها فوافقت بصوت أوشك على الضحك وكأنها عشقته منذ النظرة الأولى وكانت تنتظر منه هذه الخطوة، ثم أعطته الرقم ،فقال لعبير وهو عريض المنكبين :

-ذلك تأثير سحر أخيك فلم يأت مفعوله سريعاً لسحرها الذي يفوق سحري .

فضحكت لرد فعله الفكاهي وتمنت لو أن كلامه كان صحيحاً، حلق لغرفته وكتب كلمات دائماً كان يرددها قلبه لتنسج أبياتا من الشعر،ج. وأرسلها فكان لها وقع عليها وكأنها قرأتها بعد عشق وانتظار مرير، لكنها لم ترح قلبه ولو بكلمة وجعلته يكتوي بجمر الانتظار عندما سألها ما رأيك بأشعاري؟ . لم يتحمل سوى مرور ساعتين واتصل بها ليدعوها في اليوم التالي على الغداء وقلبه يرتعش قلقاً من رفضها لكنها لم تتردد لحظة بالموافقة بل تملك فؤادها الحماس فرحا برؤية

المطعم الذي سيختار، والسيارة التي ستستقلها أمام الناس بثياب ومجوهرات عبير ، وفي اليوم التالي أتى بسيارته

أمام منزلها وانتظرها لتطل عليه وبجمالها الذي لم تره هي بنفسها قبل تلك الأناقة، استطاعت أن تضمن قلبه وعينيه وتستولي على كيانه إلى الأبد ؛ وعندما جلست بالمطعم شعرت وكأنها بطلة غنية من بطلات الأفلام الرومانسية فقررت ألا تخسر ذلك الكنز الذي أتاها من غير أن تحتسب وأن ترمي الطعم لعادل وتضمنه كخاتم بإصبعها إلى الأبد قالت له:

-سأخبر عائلتي أن هذا اللقاء مع لقاءات أخرى كي نفهم بعضنا وإن حصل القبول المتبادل ستتقدم لخطبتي .

اكتملت سعادته بتلك الكلمات فكاد أن يقفز ويصرخ أمام الناس فقال لها:

-أنا لا أحتاج ولا للقاء آخر فأرغب بطلب يدك للزواج الآن، لكن اللقاءات القادمة لأجلك كي تعرفيني أكثر وامتلك قلبك .

بعد بضع لقاءات حكى لها قصة حياته من طفولته لأيام الجامعة وأنه لم يحب فتاة قط بكل كانوا هن المحبات لماله لذلك السبب كان ينهي علاقته بهن ، وعندما عرفها كل تفصيل بحياته لم يستطع الانتظار أكثر حتى طلب يدها للزواج فطلبت منه مهلة للتفكير كي تزيده تعلقا بها، لكن قبل أن تعطه ردها بالموافقة جاءه خبر وفاة أمه كالصاعقة المدوية ،وذلك جعل حسام ينسى

الفارق المادي الذي أرق فؤاده فقد كانت علاقته بعبير لاتتعدى الرسائل النصية بمرة واحدة دعاهما لتذوق طبخه ،وغير أن طلب

عادل يد أخته للزواج حمله مسؤولية تجاه أهل عبير فوقف مع أخته بجانبهم . بالرغم من الحزن الذي مزق كيان عبير وجعل قلبها يذرف الدموع على فقدان أمها فلم يمنعها ذلك من التفكير بالوضع الصحي لأم حسام، فلم ترغب أن يعيش حسام الألم الذي عاشته فجمعت شتات قلبها وعقلها وتمالكت نفسها لتذهب لمقابلة أمه بدون أن تخبرها السبب الحقيقي لكيلا يتحطم الأمل الذي تحيا لأجله، وطلبا منها تقاريرها الطبية كي تعرضها على أكثر من مستشفى لعلها تجد من يبيع كليته ،فهي ستضمن التكاليف كلها ولم تنتظر كثيراً حتى طرق الخبر السعيد مسامعها وكأن أمها عادت للحياة .

سابقت الرياح كي تخبر عادل الذي رحب بما قالته لأن أمه مع وفاتها ستمنح الحياة لأم أخرى والسعادة لعائلتها، وستمنع الحزن من أن يحطم حبيبة ابنها كما حطم أولادها فذهب مع أخته لمنزل أهل حسام وقبل أن يصلا طلب عادل من أخته أن تدع الحديث له لعل ذلك يخفف من ثقل جبل الحزن الذي أرهق قلبه، فأسعدها سماع أنه يحاول أن يخرج نفسه من متاهة الحزن . فتح حسام الباب والدهشة اقتحمت ملامحه فجأة فتسائل ما الذي أتى بهما وجراحهما لم تلتئم؛ جلسوا والصمت خيم

على الأجواء لحظات والعيون تترقب ما سيقال إلا سهر فقد كانت البسمة تختبئ خلف وجهها فقد اعتقدت أن العاشق الولهان لم يتحمل الانتظار وأتى لخطبتها

لكن ومع خيبة توقعها أصبحت كالأرنبة تقفز وتصفق، وبلا أن تعي عانقت عادل لما قاله لهم، أما حسام حاول أن ينطق كلمة شكر لكن الكلمات تاهت منه ،ومع عودته إلى الحياة من جديد شعر أن ما مر به كان كابوساً واستفاق منه على كلمات من انتقده سابقاً ، وعندما ختم حديثه بقوله أن ذلك كان من تفكير عبير ، نظر حسام لها وعيناه اغرورقتا بدموع الفرح، فنطق قلبه على لسانه :-شكرا جزيلا.

وبعد أن ردت :-لا داعي لذلك ،أعطته كل المعلومات الطبية وطلبت من سهر أن تعد لهم القهوة وجلست بجانب أمهما وقبلت يدها قائلة: -لا تقلقي يا أمي ستكونين بخير.

أيقن عندها أنها ليست كبنات الأغنياء اللواتي يتعجرفن على أناس الطبقة الوسطى أو ممن يلعبن بمشاعرهم .

تمت عملية زرع الكلى بنجاح منقطع النظير وعادت أم حسام شمعة تنير منزلها كما كانت بسابق عهدها، تعد الطعام لعائلتها وتهتم بشؤون بيتها، ولم تنس أن تفيض بحنانها وحبها على عبير وعادل وأختهما الصغرى فقد أخذ الموت أمهم وأعطتهم الحياة أخرى.

نهاية الفصل الحادي عشر

الأبطال الثلاثة

عاد أبا عادل بعد انتهاء عزاء زوجته بأيام، فلم يحزن على وفاتها أكثر من حزنه على سماع خبر وفاة قطة بقارة أخرى، فقد كانت بالنسبة له مربية لأولاده ،لا بل خادمة بلا أجر ، فقد زارها مرة واحدة وهي بغيبوبتها ثم عاد لعمله خارج البلد، حتى أبنائه لم يرأف لهم ويساعدهم بحزنهم على من كانت كل حياتهم ، عاد لهم كما كان طيفا في حياتهم، فقد كان المنزل له كفندق للنوم مما زاد من غيظ عادل منه ، فقرر العمل بشركة منافسة لشركة أبيه ليذيقه من نفس كأس الغيظ ويحافظ على هدوء أعصابه، ومع أنه أخبر أبيه وكأنه عدو منافس له ،لم يكترث لما قال فقد كان مطمئناً لعدم دراية عادل لأتفه أمور الشركة ،لأنه كان يزورها كضيف شرف يستعرض ثيابه الفاخرة كعارض للأزياء يلقي التحية على الموظفات . مع أنه لم يحتج للعمل لكن سهر اشترطت ذلك عليه قبل أن تتم خطوبتهما كي تكمل لوحة ارتباطها به ، فاستطاع أن يجد العمل بسهولة بسبب اسم أبيه وعلى الرغم من عدم وجود شاغر فقد خلق واحد له فلم يغرق مع أخته ببحر الحزن طويلاً لأنه كان لكل منهما منقذ من الغرق.

مع استمرار حسام في البحث عن عمل بعد أن اطمأن فؤاده على عشقه الأول لكنه لم يجد فاضطر لموافقة عبير أن تطلب من أبيها أن يجد له عمل في شركتهم فلم يتردد بقبول طلب ابنته لثقته بقراراتها الواعية

.

قابله وتحدث معه بأمور العمل ثم عينه مديراً للعلاقات العامة ومع أنه لم يستلم مثل هذا المنصب قط ، لكنه وثق به كما لو كان ابنه وحيث أنه لم يثق بعادل قط فبالمرات المعدودة التي كان يراه فيها كان يطرق رأسه بعبارة أنت لا تنفع للعمل حتى بدكان للعلافة . بعد مضي ثلاث أشهر حددوا يوماً مشتركا لخطوبة عادل وسهر مع حسام وعبير وجاء ذلك اليوم الذي أنعش فيه فؤاد عادل وحسام بالسعادة التي طالما حلما بها فأقيمت الخطوبة في منزل عائلة عادل كما كانت تتمنى أمه وزين المكان بالورود البيضاء التي تعانق الحمراء كما تحب سهر. اختطفت كل أميرة أنظار أميرها كما ملكت قلبه ،فقد تضاعف جمالهما بفستان الخطوبة حيث أن الشلال الأسود انسدل على أكتاف عبير بفستانها الذي كان كلون السماء في ليلة كالحة وتزينه اللآلىء البيضاء كالنجوم الساطعة ، وسهر التي كانت تلمع خصلها الذهبية بعيون عادل كالذهب الخالص، ارتدت فستاناً ماثل زراق عينيها، اللتين ازدادتا توهجا عندما فاجئها عادل بالأساور الذهبية مع القلادة اللتي كادت أن تغطي رقبتها فقد لمعت عينيها عليهم عندما رأتهم في محل الصاغة؛ وذلك لم يشعر عبير بالخجل فجميعهم عندما اشتروا الذهب قبل يوم الخطوبة اكتفوا بشراء خاتم

وإسوارة وقلادة بحسب وضع حسام المادي، وقبل أن ينتهي عادل من إلباسها المجوهرات أقبل أبيه بمجوهرات من الألماس تضاهي ما اشتراه ابنه لسهر وألبسها لابنته وتذكر

سهر بخاتم واحد أمام المدعوين، أما حسام لم يكن يرى بين تلك المجوهرات الباهظة سوى وجه عبير .
بعد انتهاء الحفلة حلق كل واحد منهم بعالم أحلامه مع نصفه الآخر إلا سهر فقد حلقت مع سيارتها الخاصة ومنزلها الفخم وحياة الرفاهية التي تنتظرها مستقبلا، أما يحيى أمضى أياماً لم يستطع أن يستعيد وعيه من صدماته النفسية المتتالية فقد أخبرته ميرا عندما سألها عن غياب زوجها كل تلك المدة من غير أن تذكره ولو مرة واحدة أنه انفصل عنها وسافر خارج البلاد لأنه لم يستطع أن يأخذ منها ومن أبيها سوى راتبه الشهري ولم يكف عن إصراره المستمر أن تثبت حبها له وتكتب نصف أملاكها باسمه، وهو لم يعي أن لتتالي خيبات أملها به جعلت عقلها يتغلب على قلبها ،وعندما يأس من موافقتها أنهى ارتباطه بها بعد أن وجد وظيفة أخرى، لكن الذي مزق جفونه أكثر عندما أنهت حديثها بكلمة أحبك ،وترجته ألا يعطها رداً سريعاً بل يأخذ الوقت الذي يريده بالتفكير ثم انسحبت لتتركه كتمثال جامد لا يقوى على الحركة. أمضى أشهراً بروتين من منزله إلى العمل وحيداً منعزلا فقد قلصت ميرا من لقاءاتها به خشية أن يراها أنها تسعى لكي تؤثر على قراره حيث

لا يوجد أحد بحياته سواها إلى أن تلقى
صفعة

على وجهه عندما اتصل به حسام وأخبره بعقد خطوبته على عبير ،فتوقف لسانه عن النطق فدائماً ما كان يتمنى أن يكون بجانبه في تلك الليلة ،فشعر حسام بالحزن الذي أصاب قلبه عندما انعقد لسانه فأخبره أن تلك الليلة أيضاً كانت لخطوبة سهر على عادل أخا عبير، فأيقن عندها السبب الذي لم يعلمه لأجله عن الخطوبة ،فصرخت روحه ألما وحسام يناديه مراراً:

-يحيى ،أتسمعني؟ إذا كنت في المنزل الآن سآتيك لأخبرك بالتفاصيل. ضحك يحيى وقال:

-تهانينا ، لكني سأسافر بعد ساعتين وأنا الآن خارج المنزل.

ثم أغلق هاتفه وأسرع لأقرب محل للاتصالات لشراء خط جديد لهاتفه لم يضف له سوى رقم ميرا وأبيها وأشخاص يتعامل معهم في العمل ، لم تتوقف روحه عن الصراخ من الألم، لأنه لم يكن حتى على علم مسبق بأن هنالك أحد في حياة حسام وأخته بآن واحد ،مما جعل الصدمة جبلا مزق فؤاده فقد قطع حسام الصلة به لإعطائه فرصة لإعادة ترميم روحه ،لكن ذلك الارتباط المفاجئ دفن روحه بالفناء.

بقي أياماً بعد تلك الصدمة يتهرب من ميرا رغم قلة حديثها معه، لكنها لم تستطع إنتظاره أكثر فقررت العودة إليه كالسابق

فأسرعت لمكتبه ودخلت إليه قبيل انتهاء العمل ،وغطى وجهها وشاحا من الخجل وبتلك الابتسامة الطفولية والعينين الخجولتين، دعته على الغداء ونظر إليها مبتسماً من ملامح وجهها التي لم يعهدها من قبل، فلم يتردد برهة في قبول دعوتها . وأثناء تناول الطعام اعتذرت منه إن كانت ضايقته بمرافقته طوال الثلاث أشهر التي مضت وجعلته ينطوي على نفسه أسبوعاً كاملاً ،فهاجمت وجهه ابتسامته المكسورة المعهودة عليه تلقائياً ،وتنهد ثم أخبرها عن خطوبة سهر فحلق قلبها في أرجاء صدرها وكانت أن تقفز ضاحكة ،لكن سرعان ما انتبهت لحزنه فمنعت ابتسامتها وهي تنظر إليه بأسى لحال قلبه المفطور والتزمت الصمت لتنصت إلى صمته فأخفض عينيه الغارقتين بالدموع ثم قال:

-أشعر أن قلبي يتمزق لأن كل ماعشته كان كذباً فقد غرق قلبي بحبها ،وهي أغرقته بالدموع الموجعة .

وضعت يدها فوق يده وحاولت أن تخفف ألمه وقالت بابتسامة حزينة:

-غدا سيكون أجمل لكن عليك أولاً أن تنساها بأيامها الماضية، وتفتح باب مستقبلك فهي لا تستحق دموعك ولا أن تضيع من وقتك لحظة بالتفكير بها.

<u>نهاية الفصل الثاني عشر</u>

بعد إسبوعين من رتابة عمل عادل ، تمنى لو يستطيع كسره بخلق صداقة حقيقية ورغم أن ثقته إلى حد ما باتت معدومة من أي شخص يفكر أن يعتبره صديق، لكنه استطاع أن يميل له من دون أن يدري فقد لفت انتباهه لنزاهته وتفانيه كأنه رب العمل ولمحبة زملائه وتقديرهم له. على الرغم من تواضعه مع من أقل مرتبة منه كان لا يفسح المجال لأحد أن يتقرب إليه حتى من هم أعلى مرتبة منه ،ومع أنه رئيس عادل في العمل فتشجع أن يقدم على أول خطوة ويلقي التحية عليه فصافحه باسما :

-أنا أسمي.

ليقاطعه محتدا : -اسمك عادل ، أعلم ذلك فأنت حديث الشركة، لكن أعتذر منك علي
الرحيل.

انسحب مسرعاً ليتركه مذهولا من طريقة رده وكأنه أذاه من قبل ، لكنه لم يعلم سبب نفوره منه، أنه أحس أن به من صفات الثعلب من يترك أبيه ليعمل عند ألد منافسيه. فخرج عادل بعد انتهاء العمل واتصل بسهر ليدعوها على الغداء كما اعتادت عليه يومياً ، وحيث أنها أصبحت لا تجلس على الكرسي إلا إذا حركه لها مفسحا المجال ؛ باتت ملامح الغرور والتكبر تتضح عليها ، غير أن اللون الذهبي الذي يلمع على أذنيها ورقبتها ويديها زاده أضعافاً؛ وبكل مرة يجلس أمامها كانت عينيه ترقصان برؤيتها كل مرة وكأنها الأولى، فقد تحقق حلمه وأجمل فتاة أصبحت ملكه جسدا وقلباً ؛ وما إن يطلب أغلى أنواع الأطعمة حتى يكمل الغرق في عينيها ويعيد نفس الحديث عن مستقبلهما معا ،وهي تنظر إليه باستعلاء غير مبالية لشعاع الحب الذي يسطع من عينيه ،فهي منشغلة بالعيون التي تنظر لجمالها وفي كل مرة يحاول أن يمسك يدها كانت تنظر إليه نظرة اشمئزاز وبابتسامة صفراء ،يفسرها العاشق الولهان أنها لاتزال تشعر بالخجل، فيسحب يده مسرعاً كي لا يسبب لها الإحراج، ثم يعودا إلى المنزل بعد أن ينهيا شرب القهوة ليكمل إعادة أيامه السابقة

.

في اليوم التالي ذهب لعمله ولم ييأس من كسب ود زميله ،فحاول ذلك بالاقتراب منه وإلقاء التحية عليه مجدداً وكان الارتباك يتحدث عنه ،فتعجب زميله لحاله ثم ابتسم محاولا التخفيف من توتر عادل فتشجع مندفعا ليقول له :

-هل تقبل دعوتي على الغداء بعد انتهاء العمل؟

حلق لمكتبه سعيداً بعد قبوله الدعوة بابتسامة بدا عليها السكون والراحة ،فأيقن عادل بتلك الموافقة أنه ضمن صديقا حقيقياً يعادل الثعالب الذين كانوا يحاوطونه .

عندما سأله عادل عن الأطعمة التي يفضل تناولها ترك له حرية الإختيار ، وأثناء انتظارهما وصول الطعام كان دماغ عادل منشغلا

بالكلمات التي سيتحدث بها خشية أن يلفظ تفاهات تجعله يرفض مصادقته فقرر أن يتسرع قائلا:

-أريدك أن تصبح صديقي.

فهاجمته ضحكة تمنى أن يراها كل من يعمل معه، ثم تنهد وعاد بصمته لحظات فخشي عادل أن يرد رافضاً ، فأسرع بإخباره أنه كان محاطاً بأصدقاء لم يكن يعرف ما وراء الأقنعة التي كانوا يرتدونها أمامه ،وأنه وجد فيه ما افتقده فيهم، فأثار جانب الشفقة لديه، فرد بتساؤل قبل أن يقرر :

-لم تعمل عند ألد منافس لأبيك.

كان صوت عادل وأسلوبه بكلمات عفوية تنم عن صدق السبب الذي جعله يتصرف ذلك، فأيقن عندها أن أبيه قد اقترف الخطأ بإهماله لعادل جعله يقترف خطأ يقابله ومع أنه كان عليه التفكير بتعقل، لكنه رأى أن طعن أبا عادل لقلب أبنه دوماً غيبت عقله عن تصرفه . حلق عادل لمنزله بعد أن فاز بالصديق الجديد ،وكما اعتاد فقد اتجه لعبير وأخبرها فاقترحت أن يدعوه إلى المنزل لتقوية رابط الصداقة بينهما ،فلم ينتظر سوى يوماً واحداً لدعوته مرة أخرى لكي يعرفه بحبيبته وأخيها وعلى عكس طبيعته قبل دعوته بدون أن يتردد ،فاجتمعوا جميعاً عند الموعد المحدد ينتظرون قدوم

صديق عادل الجديد الذي طرق الباب بنغمة ،مرات عدة فارتعش قلب سهر كأن الطرق كان عليه. فتح عادل الباب

وأقبل الضيف المنتظر فوقف حسام مصعوقا من الدهشة وهو يقول :يحيى!! فابتسم عادل وهو ينظر إليهما قائلاً :

-أتعرفان بعضكما ؟ تلعثم حسام وهو يقول:

-نعم صديقي، صديقي الوحيد فقط.

لم تقو سهر على الوقوف لمصافحته ،و مع صدمتها لتبدل حال من تخلت عنه منذ أشهر شعرت وكأن بداخلها فوضى عارمة لم تستطع تحديد ماهيتها ، أما يحيى فقد صافحهم جميعاً والإبتسامة تغطي وجهه وعندما وصل إليها صافحها وكأنها دمية جالسة بدون أن يبدي أي رد فعل تجاهها .

انقبض قلب حسام لبرهة قلقاً على علاقة أخته بعادل ،حيث أنه ومع محاولاته لإقناعها بإخباره بعلاقتها السابقة بيحيى لكنها جابهته بالرفض دائماً، فخشي أن يفتح يحيى فمه بكلمة لكن سرعان ما اطمأن ليقينه الأعمى بصديقه الذي لا يستطيع أن يؤذي الغريب، فكيف إن كانت من أحبها فؤاده يوماً؟!. حاولت قدر الإمكان تجنب الجلوس معه فانتفضت لمساعدة عبير في المطبخ ولم تستطع كتمان ضيقها واكتفت بتبرير ذلك لعبير عندما سألتها عن سبب انزعاجها بأن رأسها يؤلمها ،لكن عادل تضاعفت سعادته لازدياد متانة رابط

الصداقة بينه وبين يحيى ،فاستلم حسام زمام الحديث وهو يراجع ذكريات مراهقتهما أمام عادل ويحيى يرد ببضع كلمات : -نعم ، أذكر ذلك . وكلما كان يمضي وقت وهو جالس

أمامها كان يشتغل بداخلها فيض من البراكين تحرق كيانها ،وفجأة أتاها شعور غريب دفعها أن تسأله إن سمح لفتاة أن تدخل قلبه وتخرجه من انطوائيته العاطفية، نظر لها بابتسامته المعهودة، فإذا بهاتفه يرن وانسحب ليجيب عليه، فبررت سؤالها لعادل وعبير بأنها رتبت مواعيد تعارف بينه وبين كثيرات من صديقاتها ،لكن بلا جدوى فنظر إليها حسام والشرار يتطاير من عينيه غضبا من كذبها الذي لم يعهده قط ؛ وعندما أنهى يحيى اتصاله عاد إليهم فسأله حسام :

- من المتصل؟. فأجابه بابتسامة حاول من خلالها أن تضفي السعادة على وجهه :

-أستأذنكم لكن علي الذهاب قبل أن تدخلني حبيبتي بتحقيق ينتهي ببزوغ الشمس .

ثم رمق سهر بنظرة قالت لها كفي عن التفوه بالكذب، فأثناء حديثه مع ميرا لم يسمع من كلامها شيئاً فقد كان يصغي لأكذوبة عشقه السابق . لم تعلم سهر لم شل لسانها عن الحركة وانقبض قلبها حزناً من قوله، ثم سرحت بفضاء عقلها من دون أن تفكر بشيء ، فأعادها صوت أخيها يحثها على الإستعداد للذهاب إلى المنزل والتزم الصمت لأنه شعر باضطراب أخته حالما رأت يحيى ، ومع أن عادل شعر أيضاً بتبدل حالها ،لكنه

رجح ذلك لتقلب المزاج المعتاد لدى الفتيات.

عاد يحيى وضميره يؤنبه، لكذبه بخصوص حبيبته، وجلس ملتاعا أيخبرها بما قال ويعتذر إليها؟ أم بدأ يشعر بشيء نحوها وهو لا يدري ؟أم يخبر حسام أن لسانه قد خانه وتفوه بتلك الكذبة؟ ولكن ماذا سيظن به؟ أقال ذلك لكي يختبر غيرة سهر عليه و بحياتها شاب آخر وعاجلا أم آجلاً ستغدو زوجة له ؛ شعر بالوضاعة بسبب تلك الكذبة وبلحظة اتجهت أنامله لرقم ميرا ودعاها على الغداء في الغد بمنزله ليخبرها بأمر هام ،فدق قلبها طبول الفرح ،أيعقل أنه وأخيراً بادلها نفس الشعور وسيعترف بحبه لها! فتلهفت عطشا لساعة اللقاء، وعندما أقبلت أسرعت إليه وهي تسابق الريح وفؤادها يركض معها شوقا لسماع تلك الكلمة وطرقت الباب والبسمة تعتلي وجهها وإذا به يفتح ببسمة بدا وكأنه قد أرغم عليها ،فأرجحت ذلك لخجله ثم دخلا لغرفة الجلوس وإذا بالطعام ينتظرها وعندما شرعا بالطعام كانت عيناها تترقب أن يلفظ فمه تلك الكلمة وكأنها ستسمعها لأول مرة في حياتها، لكنه فجأة بدأ بسرد قصة تعارفه بعادل إلى أن دخل بيته بدعوة منه وتفاجأ أنه خطيب سهر، فتوقفت اللقيمة في حلقها فأسرع لها بكأس الماء، فنظرت له بعد أن تبدلت نظرة الشوق لخوف وقلق من أن يعترف أمامها بأنه لا يزال

يحب سهر، لكن عندما قال لها أنه أخبرهم أنها حبيبته وأن حسام قد تبعه إلى الباب ليعرف من هي وطلب أن ينظم لقاء لهم جميعاً؛ وانهال عليها بفيض من الاعتذارات وكاد أن يتوسل لها كي تسامحه فتعالت ضحكاتها من خيبة أملها ثم قالت:

-لا عليك ، وما أدراك لعلي أصبح حبيبتك يوماً ما .

كاد أن يذوب خجلاً من تفهمها، وشعرت أنه أراد أن يوصل لسهر رسالة أن حياته لم تقف عندما خرجت منها ،لكن هل يخدع نفسه بذلك أم أنها حقا لم تعد تحتل فؤاده ؟. عندما عانق وسادته استرجع بخياله رد ميرا ولمس طيبة قلبها وصدق مشاعرها لكن مراده في ذلك الوقت كان أن يتأكد أنه قد انتزع سهر من قلبه ، وعلى مدار ثلاث أيام لم يكف عن دعوة ميرا على الغداء والعشاء وشرب القهوة والشاي ،فلم يفارقه الشعور بالذنب ،فقد خشي أنه جرح مشاعرها وهي لزمت الصمت ولم تخبره خشية أن تأجج تأنيب الضمير لديه وتقلق راحته .

وفي اليوم الرابع عند انتهاء العمل قابل عادل ودعاه على العشاء برفقة سهر في مطعم لم يقل قيمة عن الذي يدعوها عادل إليه ،ولم ينس أن يدعو حسام برفقة عبير وعندما علمت سهر لم ترغب رفض الدعوة كيلا يوهم نفسه أنها تحن إليه إن قابلته . لم يتأخر أحد عن الموعد المحدد ، نظر يحيى لسهر بطرف عينه وهو يراقب نبضات قلبه إن كانت ستنبض لها ،فقد وضع احتمالاً أنه لم يشعر بشيء من هول الصدمة عندما رآها صدفة أول مرة والتزم الصمت وهو ينظر لهاتفه، وحيث أن حسام لم يلق عبير منذ يومين كان يذوب شوقاً ولم

يتوقف عن الحديث معها بصوت خافت وكأنهما
بمفردهما أما عادل فكاد أن يذوب حيرة
كيف

سيستطيع أن يرسم البسمة على وجهها فقد كانت ملامحها تنطق وتقول :" أشعر بالضجر منك" ولكي تتخلص من اهتمامه المرهق لأعصابها ابتسمت كأفعى شقراء رآها يحيى لأول مرة عندما قالت له :

-لماذا لم تدعو حبيبتك كي نتعرف بها ؟

نظر حسام لها بصدمة فقد راوده شعور لبرهة أنها تحس بالغيرة عليه بسؤالها المتكرر ،فابتسم يحيى بثقة وهو ينظر للجوهرتين الزرقاوتين ببرود قتلها :

-في المرة القادمة فهي مشغولة الليلة .

وقبل أن تلفظ كلمة قطع حسام حديثها وبنظرة ثاقبة فهمتها بأن تقطع الكلام حالا : -كفي عن فضولك المعتاد .

ثم اتجه ليحيى بكلامه ودعاه في المرة القادمة على الغداء في منزلهم وبمجرد أن أنهوا الطعام وشرب الشاي ،استأذنهم حسام كي يعودا إلى المنزل وما إن وقفا حتى وقف عادل كجندي مطيع استعداداً لكي يقلهما بسيارته ،ثم عرض على يحيى أن يقله برفقتهم لكنه اعتذر لرغبته في البقاء قليلاً بمفرده. تاه في متاهة أفكاره ،فلم يعلم لم كان ينتظر مكالمة من ميرا أو أي رسالة ترسلها بأي كلام فتصارعت الأحاسيس داخله : أيرغب فعلاً باهتمام ميرا كي تنسيه سهر؟؛أم قد نسيها

عندما رأى ملامح البراءة التي سحرته سهر بها قد تبخرت في الهواء ؟ وبذات الوقت شعر بالأسى حيال عادل لأنه كان على يقين أن نظراتها إليه ليست كنظرات الحب التي كانت تصيب قلبه بها ، غير أن الحيرة باتت تلتهم قلبه وهو يتسائل: كيف يمكن لشخص أن تتبدل أحاسيسه وطباعه كلياً وكأنه لم يكن كسابقه قط.

نهاية الفصل الثالث عشر

استقبل عادل يوماً كان له مثيلا بوقعه ، يوماً ودعت فيه أمه حياتها ؛ (أبيك في العناية المركزة)، قادته قدميه لسوء المصادفة إلى ذات المشفى الذي أخرج أمه إلى المقابر ،وكان قلبه يرتعش خوفاً أن يفقده ويخسر طيفه في حياته، فطغى بتلك اللحظة رابط الدم على كل الخلافات . وصل إلى المشفى والرعب يتملك قلبه وهو يقول:

-أبي لن يرحل أبي لن يرحل.

هرول إلى موظفة الإستقبال لتدله على غرفة أبيه ، وأكمل هرولته ليجد مساعد أبيه الشخصي الذي هو إليه الأخ والصديق، وقف أمامه واستهل حديثه قائلاً:

-أباك يصارع الموت. فقد كانت غايته أن يقويه لأسوء الإحتمالات ، تصاعدت ضربات قلبه تصاعديا :

- ما الذي آل به إلى هذه الحالة.

فكان الجواب الذي قتله وهو على قيد الحياة:

-لقد خسر أباك كل ما يملك ؛ ثم أجلسه وبدأ بسرد القصة :

التقى أبا عادل في حفلة على مستوى راق ضمن رجال وسيدات، امرأة يافعة خطفت أنظار كل من وقعت عينيه عليها، أما عينيها فقد وقعتا عليه ،فبادرت بإلقاء التحية كونها تعرفه من شهرة غناه، وعمدت أن ترافقه طوال

الحفلة وهي تحادثه عن طموحها في عالم الأعمال
،وإصرارها بالسعي
للوصول

إلى القمة وأنها تطمح أن تصبح مثله في عيون الناس بقوة عقله وذكائه ،وبمديح انتقت منه أجمل الكلمات جذبت به عينيه وقلبه ،فلم يحادث أحداً ممن اعتاد محادثته سواها، فلم تتردد أن تدعو نفسها في اليوم التالي على فنجان قهوة لتشحن صباحها بروح الحماس عند مقابلته ،وتفتح باب الصداقة وتقوي رابط معرفتها به، ولم ينتابه الشك لحظة بسوء نواياها فقد بدا عليها يسر الحال ،مما لا يجعلها تطمع بما يملك ،وبعد أن دعته مرة على الغداء والقهوة بادلها نفس الدعوة، ثم تناوبا في الدعوات حيث عمدت أن تدعوه مباشرة بعد كل مرة يدعوها كي تبقيه على اتصال معها؛ ولم تنس عندما أخبرها أول مرة أنه إن أهدي قلما واحدا يرده باثني عشر قلما،فأهدته ساعة كانت تسطع شعاعا أبيضا مزيفا ثم قالت له:

- انتظر معرفة إلى أي مدى ارتقى ذوقك بهدايا النساء .

فاستطاعت بجرأة اللبوءة اليافعة وقوة شخصيتها أن توقع الأسد الرزين بشباكها، وعندما استطاع بهدية من الألماس أن يرسم السعادة التي زينت وجهها ببسمات عفوية، سجلت اسمها على قلبه بكامل حقوق الملكية. أعادته لريعان شبابه فعرض عليها الزواج لكنها تمنعت

كثيراً في بداياتها، ورفضت أن يقابل عائلتها لعلمها المسبق برفضهم بسبب

فارق السن بينهما ،ومع إصراره الذي كاد أن يتحول لرجاء كي يقابلهم أخذت موعداً منهم من أجل التعارف، فاشترى أفخم الحلويات واختار باقة زهور تعانقت لتمتع الأنظار بأبهى تناسق للألوان ،وارتدى أرقى ثيابه محاولا كسب ودهم، لكنه فوجئ لاستقبالهم له وكأنه متسول أتى للزواج من ابنتهم ،وعندما طلب يدها من أبيها أجابه باستعلاء :

-عمرك مقارب من عمري ،وتريد الزواج من ابنتي ،وتعتقد مني القبول ؟!

تسارعت ضربات قلبه كمراهق أوشك على خسارة حبيبته، وخشي بلحظة فقدانها فأجابه بارتباك لم يعشه قط:

-أنا أحبها وستحيا معي حياة لن تحياها مع شاب في عمرها.

فصمت الأب وهو يطهو الكلام في عقله ثم رد قائلاً:

-إن ارتدت ابنتي طوال حياتك بصدق فلتكتب لها ربع ما تملك. ولم يعارض لبرهة فذلك من حقها كونها ستصبح زوجة له ولا يستبعد أن يرزق منها بطفل ،وبذلك سيضمن مستقبلهما على حياة عينيه، وعند مماته سيكون باقي ما يملك لزوجته الأولى وأولاده ؛ تم الزواج بعد أن اشترط على عائلتها ألا تعرف زوجته

وأولاده بذلك رفقاً بمشاعرهم، فسافر معها وفتح فرعاً لشركته ثم أدخلها إليها بصفتها مديرة لأعماله ومضت خمس سنوات عادلت له عمرا بأكمله ،إلى أن ماتت أم عادل فاضطر أن يعود إليهم بمدة لم يعلمها لأن عبير أخبرته عن علاقتها بحسام فقرر أن

عليه

المكوث للاطمئنان على حال ابنته، فأعطى زوجته وكالة عامة أعطتها الحرية المطلقة أن تتصرف من خلالها بكافة الممتلكات وبأمور كلتا الشركتين ، فقد خشي أن يسهو عن أعماله حينها ويتسرب من بين يديه نقودا يمكن بها أن يفرح فؤادها بقطعة ألماس، ثم ودعها وهو مطمئن البال ، وعاد بعد انتهاء خطوبة ولديه بثلاثة أيام فلاقى حتفه بخبر نقلها كل أملاكه إليها، وبأنها أصبحت المالكة الوحيدة ،حاول تمالك نفسه ريثما يعود لأولاده ،فقد تركت له منزل العائلة الذي يعيشون به تجنبا للشك بها أو تشويه سمعتها ،ولم تنس أن تغمره بعطفها وكرمها وعينته مستشاراً لها بالشركة الأم وعندما ذهب لمكتبه اكتشف أنها أعلمت كل الشركة بتغيير مالكها ،وطلبت نقله من مكتب المدير للمساعد؛ حينها سقط كورقة شجر يابسة ونقله الموظفون للمشفى.

انسحب عادل وهو مغيب العقل ولم يجد نفسه سوى أمام توأمه يخبرها بما حدث ؛ حاولا جاهدين أن يرجعا أملاك أبيهما لكن محاولاتهما باءت بالفشل الساحق ،مما مزق فؤاد عادل لأشلاء وتجمدت أحاسيسه فجأة نحو أبيه بل وتسرب الحقد لقلبه، لأنه حرم أمه من الاهتمام طوال حياتها وجردها من كينونيتها ليتجه بحنانه المفاجئ نحو امرأة أخرى سرقت حياته ومستقبل

أولاده. مع أن غناه ذهب مع الريح بذهاب ثروة أبيه لكنه لم يكترث لنفسه، فقد شعر أن جبل مسؤولية أختيه قضم ظهره، وبدأ يخاف عليهما من غدر الزمان ومن مستقبلهم المجهول بلا مخزون نقود

.

مضت أياماً ذهبت بها عبير يومياً لزيارة أبيها في المشفى ،تترقب أن يعود إلى الحياة مما زاد من جراحها فلم تجد أمامها سوى الانتظار المرير الذي عاشته سابقاً مع أمها. انقسم عادل قسمين، فقد ناضل كي يساند أختيه، فأياما كان يذهب مع توأمه المشفى وأياما يقضيها مع أخته الصغرى في بيت خالتهم ،وحيث أنه انقطع عن سهر التي لم تكترث لغيابه ،فقد أرادت أن تأخذ إجازة من رؤيته لأيام قليلة ،فكان غيابه كما رغبت أما حسام ،فقد ضاقت روحه ذرعاً من هذا الغياب كون هاتفها وهاتف أخيها خارج الخدمة ،ومع تكرار زيارته لمنزلهم لم يجد به أحداً ،لكن ذلك لم يثنيه عن محاولاته المتكررة إلى أن ذهب إليهم مع استيقاظ العصافير ،وسابق الرياح كي يطمئن عليها ويروي عطش عينيه من وجهها . فتحت الباب وعينيها ترتدي ثوبين من الدموع لكن عندما رأتاه أزاح وجهه ،ظلمة الحزن عن طريقها ثم طلبت منه الذهاب معها للمشفى وقصت له الحكاية كاملة بطريقهم وأنهت قولها بصوت يبكي خجلاً :

-تمالكت نفسي وأنا أخبرك عن أخي سابقاً لكن أبي مزق فؤادي .

حاول تخفيف حزنها بوعدها أن أيامها معه ستكون الأجمل على الإطلاق، وستنسى معه كل الأحزان التي عاشتها سابقاً ، فتنهدت عندما داهمت الراحة فؤادها بكلماته وصدق مشاعره نحوها ،وبعد أن انتهيا من زيارة والدها أوصلها لمنزل خالتها وعاد ليخبر سهر بما حل لعادل وعبير كي تساند شريك حياتها المستقبلي ؛ فانهار قصر أحلامها بتلك الكلمات ونهش كيانها شعور الذنب لأنها ارتبطت به فلم يسمح لها قلبها بالاتصال به وسؤاله عن حاله ،أما هو لم يقو على الاحتمال أكثر فاتصل بها كي يعتذر عن مرور أيام لم يحادثها بها وقبل أن يشرع بإخبارها عذره، قطعت حديثه قائلة : -أعرف فعبير أخبرت حسام وهو أخبرني .

فأعاد اعتذاره لها بأنه لن يستطيع أن يجعلها تحيا بالرفاهية كما وعدها، لكن وبيديهما المتشابكة للأبد وبحبهما سيحيان أجمل حياة ، لكنها لم تكن تستمع لكلمة واحدة فقد تاهت بكهف أفكارها وعندما هز انتباهها وناداها ردت بكلمتين:

-أمي تناديني . وأغلقت الهاتف لتترك قلبه جريح من إهمالها اللامبرر له، وكيف أنها لم تتعب نفسها وتهون عليه بكلمة واحدة، لكن سرعان ما عاد ليبرر تصرفها

بأنها تشعر بالأسى حياله ولم تعرف كيف تستطيع مواساته وهي بنفس الوقت كانت تتسائل مع نفسها:

-كيف سأتخلص من هذا البلاء المدعو عادل؟!

لم يستطع أبيه مقاومة الموت أكثر، فزاد ذلك من تفكيرها بطريقة تستطيع بها أن تتخلص منه دون أن تلحق بنفسها السوء أمام الناس ، بعد أن ذهب أملها الوحيد معه بعودة ثروته.
لأول مرة نظر يحيى لميرا بعينين ضاحكتين تحفظ كل ملامحها بعقله، كي ترافقه في أحلامه ،ولم يعلم لم تسارعت ضربات قلبه عندما أطلت بالعمل وكأنها أول مرة ليخبره أنها الحب الصادق الذي لم يتخلى عنه بأصعب ظروفه ، فأصبحت عيناه تفضحان ما بداخله مع أنه حاول جاهداً ألا يقابل عينيها، لكنها أحست تهربه الواضح منها وأكثر من مرة قاوم تردده ليصارحها، لكن سرعان ما ابتلع لسانه قبل أن ينطق بكلمة أمامها ثم يبدل كلمته بسؤاله عن حالها ؛ وبصمت بعد شهر أرهقه الكتمان لكنه كان يخشى إن صارحها أن تظن أنها حبيبة بدل ضائعة وعندما تأكد أن لارجوع بينه وبين سهر اتجه بقلبه إليها. عندما أرهق قلبها الانتظار ذهبت إليه والحزن يعتلي وجهها ثم طرقت الباب، ففتح وتبتسم قلبه لرؤيتها ثم دعاها للدخول، وتمالك نفسه كي لايعانقها لكنها عندما نظرت إليه بعينين دامعتين وطاحت بنظرها أرضاً ،اعتصر الحزن قلبه وتملكه القلق خوفاً من أن تتخلى عنه، وبعد أن

جلست لم ترفع ناظريها إليه وهو يلاحق عينيها إلى أن
آلمتها حنجرتها وهي
تحاول

أن تمنع نفسها من البكاء لكن عينيها خانتاها وهطلت دمعتين فمسحت وجنتيها ثم قالت :

-أخبرني ألا يوجد أمل أن تحبني ؟! لقد تعبت

ثم انهال سيل من الدموع، فهرع إليها وقبل رأسها وعانقها كي تهدأ ،فغرقت عينيه بالدموع وارتجف صوته ،لأنه كان سبب حزن من شفت جرحه واعتذر منها وهو يرجوها أن تسامحه ، فأرعبها تغيير نبرة صوته ونظرت له بذعر ومسحت عينيه، وانهالت عليه بألف كلمة اعتذار، وبدون أن يتنفس تطايرت كلماته وهو يبرر سبب تأخره عن مصارحتها بحبه لها ، فوقعت كلماته على مسامعها وهي تحدق إليه وكأنه يتحدث بلغة لا تفهمها، فقد تسرب اليأس إلى قلبها مما أدخله في غيبوبة، لكنه حبه لها أعاد إنعاشه من جديد .

ومن تلك اللحظة أيقن القلبين أنهما سيحيان قصة حب أبدية ،ولن يباعد بينهما أي مخلوق فلن يتخليا عن بعضهما لأي سبب كان، فصدق مشاعرهما سيكون سلاحاً لهما، فحتى الحياة لن تجرؤ أن تتلاعب بمصيرهما.

نهاية الفصل الرابع عشر

تاه عادل بأيامه التي تمضي وهي بعيدة عنه، فقد كان يتصل بها عشرين مرة لتجيبه مرة ،وكلما كان يطلب مقابلتها في تلك المرة كانت تختلق آلاف الأعذار كي لا ترى من تحسبه غلطة عمرها، ومن تلك اللحظة بدأت تسترجع ذكريات الماضي مع حبها الأول ،وتتمنى لو يعود الزمن بها، وبخضام تلك الذكريات كانت تبحث عن طريقة لتتخلص من عادل، وبعد جهد فكري أتاها الحل، وذهبت لمقابلته في المنزل بعد عودته من عمله ،وعندما رآها أمامه اعتصر عينيه وهو يطبق جفونه ليرى إن كانت وهما أم حقيقة، وكاد أن يقفز كالطفل لأنها أتت لرؤيته شوقاً إليه ، لكنها عندما جلست بدا الاشمئزاز من رؤيته واضحاً عليها ، أما عبير فقد خيم الحزن على قلبها عندما رأتها لأنها كانت على يقين أن سهر بزيارتها تهدف إلى تقطيع فؤاد أخيها إربا ، فبسبب إفلاس أبيها أوشكت سعادة أخيها على الانتهاء ؛ فانسحبت إلى المطبخ مكسورة القلب لتحضير القهوة وتحاول أن ترتب الكلمات التي ستواسي عادل وترمم قلبه بها . جلست سهر صامتة وهي تفكر كيف ستبدأ حديثها بقوة كي تحطمه، فيبادر هو وينهي علاقتهما :

-أنت لست أول شاب في حياتي فرئيسك في العمل ،يحيى كان حبيبي وانفصلت عنه لضيق أحواله المادية.

نظر لها بابتسامة مذهولة:

- أنا لا أحب هذا النوع من المزاح ، دعك من هذا الكلام ودعينا نتحدث عن ترتيبات الزواج.

-صدقني لست أمزح .

وأخرجت هاتفها من حقيبتها ثم أطلقت صورها مع يحيى كطلقات نارية مزقت قلبه وروحه لأشلاء .

رد بنبرة صوت تتألم :

-لما لم تخبريني من قبل ؟!

استعد قلبها للتحليق فرحا :

-لا أعلم ،هكذا شاءت الأمور ، لكن لك حرية القرار إن كنت ستنهي علاقتك بي .

صمت لدقائق وهو يعيد النظر بتلك الطلقات الحارقة ثم ابتسم وأحرق دمها بدون أن يعلم:

-لا تقلقي، أعلم أنك لم تخبريني من قبل، لأنك خشيتي أن تخسريني، وقلتي لي الآن كي نبدأ حياتنا الجديدة بلا أسرار.

فردت بدهشة :

-أتعي ما تقول؟ فأنت أخبرتني من قبل عكس ذلك.

نظر لها بابتسامة مكسورة :

-أنا أحبك ولا فرق لدي، إن كنت أول شاب في حياتك أو المئة بعد المليون ،ولا يهمني الماضي إطلاقاً.

تطاير شرار الغضب من عينيها وانتفضت من مكانها كبركان ثائر، وعادت إلى المنزل بدون أن تنطق بكلمة ،وفؤادها يتمنى أن يغير قراره، لكنه فسر عجزها عن النطق بفرحها أنه لن يتخلى عنها فمن هول السعادة على غير توقعها طارت إلى المنزل كي تحتفل مع روحها ؛ فعاد باتصالاته المتكررة معها وكأن شيئاً لم يكن.

لم يمض شهر واحد على ولادة ميرا ويحيى من جديد حتى أيقن فؤاده ألا يتأخر أكثر كي يعرف أصدقاءه الجدد بميرا ، سعد حسام كثيراً لأن صديقه قد تعافى من جرح قلبه ووعده بالقدوم مع عشق حياته، أما عادل فلم يتردد بقبول دعوة يحيى كي لا يشعره أنه أصبح على علم بعلاقته السابقة، وأنه لم يعد يثق بحبها له ، فاتصل بها كي يخبرها أن يحيى دعاها على الغداء، لكنه نسي أن يخبرها أن الدعوة على شرف ميرا، فشعرت أن الفرج آت كي تشعل نار غضبه من يحيى وتوصل ليحيى أنها عادت بمشاعرها وقلبها إليه .
ارتدت أجمل ثيابها و مجوهراتها التي لن تستطيع أن تشتري غيرهم مرة أخرى، وجعلت الشلال الذهبي ينساب على أكتافها كما عشقه يحيى ؛ وصلوا جميعهم بسيارة عادل ليروا يحيى وميرا غارقين في عيون بعضهما ، فرأتها سهر كساحرة شمطاء سرقت حبها الأول منها، فلم تلقي التحية عليها كما فعل البقية ، مما أثار دهشتهم وقلقهم لإظهارها الغيرة عليه بشكل واضح . أما ميرا تعمدت أن تمسك يد يحيى كلما نظرت سهر إليهما ولأول مرة بحياة يحيى لم يدخل لسانه إلى فمه وبكل جملة كان يقولها ترتوي عينيه من وجه ميرا وهو يقص عليهم أيامه برفقتها ؛ فخلق بتلك الليلة شاب آخر

لم يعرفاه حسام وسهر، فقد أنعشت ميرا روحه لتتشابك
مع روحها فلم تؤثر على

كيانه رؤية من اعتقد أنها كانت عشقه الأول ،مما زاد من خوف سهر لأنه لم يتجاهلها فقط بل حاول أن يجعلها تشارك بالحديث معهم هي وعبير، وكأنها بالنسبة له كانت ولا تزال أختا، خاصة عندما قال لعادل مازحاً:

-ضع سهر بعينيك ،لأنك إن ضايقتها يوماً لن تواجه أخا واحداً لها بل اثنين .

فأمسك يد سهر وقبلها قائلاً:

-إنها بعيني إلى مماتي .

ثم حلق قلب عادل براحة بالغة لأنه اطمأن، بحقيقة مشاعر يحيى تجاه حبه وأن الماضي لن يؤثر على صداقتهما ، وبتلك اللحظة تحطم أمل سهر بأن يبادر عادل وينهي علاقتهما، فقررت هي فعل ذلك وفي صباح اليوم التالي، ذهبت لزيارة عادل في العمل لكنه كان سبباً يغطي السبب الجوهري وقبل أن يلمح طيفها، سألت موظفة الإستقبال عن مكتب يحيى ولتضمن مقابلته لها أسرعت بالدخول إليه، وفتحت الباب من دون استئذان، فارتعشت روحه لبرهة من أن يكون قلبه قد خانه وعاد طيفها إليه مرة أخرى ،فوقف مذهولا يمعن النظر فيها ثم قال:

-سهر !مكتب عادل في أروقة الطابق السفلي.

فاندفعت إلى الداخل وأغلقت الباب خلفها ثم جلست وطلبت منه الجلوس وقبل أن تخرج كلماتها ،سبقتها قطرات الندى

على وجنتيها لتمزق قلبه مع كل قطرة، وهو ينتظرها كي تنطق بكلمة وبعد دقائق قالت له وصوتها يرتعش من البكاء: -أريد أن أتخلص من عادل ساعدني أرجوك.

فرد بغضب شديد:

- ماذا فعل لك؟ لن أرحمه.

وعندما رأت خوفه عليها كادت أن تنهار من البكاء ،وتمنت لو أنه يقترب منها ويمسك يدها كي يخفف عنها ،لكنه اكتفى بتهدئتها من مكانه ، فصعقته بقولها:

-أنا لم أرتبط به عن حب، فعلاقتي به كانت بسبب نقود أبيه.

ثم قصت له كيف أخبرت عادل بعلاقتهما السابقة وكيف أنه لم يتأثر حتى ؛ نظر لها وهو مقطب الجبين وكاد أن يغلي الدم في عروق وجهه وانفجر وهو يزأر بوجهها قائلاً:

-لم أعهدك بلا قلب ولا إحساس إنه يحبك وتريدين قتله كما قتلتيني ،وتريدين مساعدتي أيضاً ؟!

فانحنت وجلست عند قدميه وامسكت يده :

-أنا أحبك إلى هذه اللحظة ولقد ارتكبت خطأ فادحا، وحتى إن لم يفلس أبيه كنت سأعي بأي لحظة أني لا زلت أعشقك .

فلم تجد منه سوى أن أبعد يدها بلطف وطلب منها الخروج بهدوء ما قبل العاصفة
فقالت له باستعطاف : - يحيى ،أرجوك
فعاود زئيره بوجهها وطردها من مكتبه وبمجرد خروجها

مسح من عقله ماحدث وكأن شيئاً لم يكن، وهي جمعت فتات أملها وخرجت لتقودها قدميها إلى الأحياء والشوارع التي كانت تجمعها به ، حتى مع مقاومتها للدموع استطاعت أن تتغلب على عينيها، وعندما عادت لمنزلها أغلقت هاتفها لأجل لم تعلم متى سينتهي ،كي لا تسمع صوت غلطة عمرها ،ومع محاولة حسام أن يعرف السبب الذي أخمد نور وجهها تدريجياً لكنها في كل مرة كانت تردعه وتعرض عن الحديث ،وبعد شهر تعب قلب عادل من محاولات استعطافها، وهو يضع جسور وصل بينهما ومع عجز حسام تدخلت أمها ثم أبيها بلا أي فائدة ترجى وبكل مرة كانت تكتفي بجملة :

-أريد مسافة لأعيد ترتيب مشاعري نحوه .

عندما رأت عبير حال أخيها ،حاولت إعادته لوعيه بقولها :

-سهر ارتبطت بك لأجل النقود وهي لا تحبك.

فتبللت عيناه بالدموع ثم صعقها بقوله:

-أعرف ذلك ، لكني كنت أكذب على نفسي ولا زلت.

فعادت لصمتها وتمنت لو يرأف قلب سهر بحال أخيها، أو يتخلص من إدمان داء عشقها بمعجزة سماوية .

وبعد أيام تكلل صبره بالفرح فقد قررت أن تعطي حبه لها

فرصة وتعتاده كما يعتاد المريض على الألم، لعل حب يحيى لها يعيش بقلبه من جديد، لكن مع دعوات عادل لها على الطعام والشراب بالأماكن التي كانت ترتادها مع يحيى ،وبدون أن يعلم عادل أنه يضع السم لقلبه تدريجياً ،لم تستطع سهر أن تقاوم ذكريات الماضي التي باتت تهاجمها من كل حدب وصوب ،فحاوط الحب القديم قلبها بشباكه رويداً رويداً، إلى أن صعق قلبها عندما تكلل حب يحيى وميرا بقرار عقد خطبتهما ،ليمشيا أول خطوة باتجاه عش الزوجية .

قام يحيى بدعوة حسام وطلب منه أن يدعو عائلته وحبيبته ،ولم ينس أن يزف الخبر السعيد لعادل، الذي قفز قلبه فرحا كما لو أن حبيبته اعترفت بعشقها الدفين له ،وأيقن أن سهر ستمحوه من خيالها حتى ،ولن تفكرأن تتركه إطلاقاً، لكن مرآه إلى جانب ميرا بحفل خطبتهما أعاده إلى عينيها كما كان وأكثر من السابق، فسالت دموع قلبها واعتلى وجهها الضيق وقضت الليل بالبكاء، ثم قررت أن تخرج عادل من حياتها وتعيد يحيى إليها قبل أن يسجن بقفص الزوجية، ولم تنتظر سوى يومين أحرقا كيانها فأطفأ، الحزن نور وجهها وعقلها الذي لم يقف عن التفكير، ومسح حيوية روحها ، ثم ذهبت في اليوم الثالث إلى منزل عادل لتزف له

الخبر المشؤوم على مسامعه، فلم يقل وقعه عن فقدان شعاع العطف، فنظر إليها بدون أن ينبس ببنت شفة لتتركه بدون أي شفقة

وتسرع ليحيى الذي وقف مرعوبا وكأن الطارق روح شريرة : - ما بك ؟! ادخلي .
لم تنتظر أن تلفظ أنفاسها فأجابته وهي قلقة من رده :
-أنا أنهيت علاقتي بعادل لأجلك .
نظر لها وملامح الدهشة غطت وجهه:
-أنا؟! هل طلبت منك ذلك؟
جلست والدموع تملأ عينيها وقطع البكاء صوتها لأشلاء:
-دعك من ميرا ، أرجع لي أرجوك فأنا لا زلت أحبك.
تعالت ضحكاته لسخافة كلماتها :
-أنا لعبتك تحركين مشاعري كيفما تشاءين
-أعتذر مرة أخرى لقد أجرمت بحق نفسي قبل أن أجرم بحقك ، فلنعد كما كنا.
انفجر غضبا وتطايرت كلماته كالشظايا في وجهها :
-أغلقي فمك وعودي لعادل فأنا أعشق ميرا وسنتزوج قريباً، أخرجي حالا.
ثم فتح الباب وأشار لها بالخروج لتخرج وهي تجر الخيبة خلفها، لكنها لم ترفع راية الاستسلام ، بل أخذت رقم هاتفه خلسة من أخيها ،وبدأت باستعطافه بالرسائل تذكره بها بالماضي الذي عاشاه معا ،وبعد كل رسالة كان تتصل به لتحرك مشاعره بوتيرة أسرع ،فلم تجد

منه سوى أن يفتح الاتصال عليها بدون أن ينطق بكلمة وهي تناديه ثم يغلقه مرة أخرى بوجهها ،لكن ومع تتالي

محاولاتها وبعد بضعة أشهر ، تملك قلبها اليأس وقطعت الأمل كلياً ،عندما أخبرها حسام أن يحيى قد اقترح عليه أن يقيما زفافا مشتركا ،كأي أخين لتكن فرحتهما واحدة وتعويضا عن يوم خطبته ،فباركت له وطمأنته أنها ستكون سعيدة بليلة سعادته خاصة أن حسام لم يكن على دراية أن سبب إنهاء علاقتها لعادل هو عودة حبها ليحيى . إلى أن جاء اليوم المنتظر، فحاولت أن تتمالك مشاعرها وتقوي قلبها لكي لا تنهار أمامهم، فاستطاعت أن ترسم البسمة على وجهها بشق الأنفس لتشارك أخيها الوحيد سعادته ،ومع تحليق الفرح بالأجواء كان عادل ينظر لسهر بطرف عينه وقلبه يتنهد حسرة وهو يتمنى ،لو كان زفافهما بذات الليلة لكن عقله كان يعيده لوعيه عندما يذكره بالكلام الجارح الذي قطعت فؤاده به :

-أنا لا أحبك وارتبطت بك لأجل نقود أبيك وبما أنها تبخرت، سننهي علاقتنا والسبب أمام عائلتينا، والناس سيكون أنه لا يوجد بيننا توافق وانسجام فكري ولكي تحافظ على شكلك أمام الناس ستوافقني بما قلت .

دخل كل عاشق منهم إلى قفص الزوجية وأقفلوا خلفهم الباب مدى الحياة ليعودوا للحياة من جديد، ومع كل يوم

يمضي كان مخزون الحب يمتلأ أكثر وأكثر إلى أن
وصل لحد الفيضان .

إلا العاشق الذي لم يكتمل عشقه فقد مضت أيامه برتابة قاتلة من العمل إلى المنزل ليتحول لجسد بلا روح إلى أن خطف أنظار فتاة وعلقت بشباكه دون أن يعلم ، فالرزانة التي كانت دخيلة على شخصيته والصمت الذي اكتسى به لسانه مع تفانيه في العمل جعلت منه رجل أحلامها، وكونها تراه صباح كل يوم في العمل بعد أن أصبحت زميلة جديدة له ؛بادرت بالحديث معه وإلقاء التحية عليه، فاستطاعت تدريجياً أن تخرجه من انطوائيته بعد أن دعته مرات عدة لتناول الطعام في الأماكن الشعبية، وأنهت بتلك اللقاءات الحديث عن قصة حياتها من طفولتها إلى نضوجها فقد اتسمت ببساطة الحال مع أن واردهم المادي يساوي صادرهم، لكن الحياة كانت بعينيها مع أختيها ووالديها تساوي حياة الأغنياء من ترف ورخاء، وبكل مرة كانت تلتقي به تحاول أن تسحب منه كلمة عن حياته ، لكنه كان يرد سؤالها بسؤال فلم تستطع معرفة سبب انعزاله عمن حوله، وعندما أنهت مخزون حديثها معه ،واستعصى عليها شد كلمة من حباله الصوتية؛ طلبت منه أن يدعوها على الغداء في منزلهم كي تتعرف بعائلته، فشعر بالضيق لطلبها فقد كان يرغب أن تشاركه أوقاته فقط لا أن تقحم نفسها في حياته الخاصة ،ومع تهربه

من طلبها لم تسأم من إعادته عليه، فحدد لها موعد بعد أن دعى حسام وعبير كي تكتمل عائلته حين لقاءها

.

عندما وصلت إلى المنزل أصيبت بالدهشة لفخامته ومع أنه ابن عائلة ثرية فقد كان يعمل كموظف عادي ،ويأكل بالأماكن التي يرتادها الفقراء ،مما أشعل نار الفضول داخلها ومع يقينها أنه من المستحيل أن يتحدث عن حياته معها، لم تجد سبيلاً لإخماد تلك النيران إلا عبير، فلم تتردد لحظة في سؤالها عن السبب الذي مزق كيانه لكنها تلقت إجابتها كصدمة مضاعفة عندما قالت لها : - مصاعب الحياة.

مما جعل أحشائها تقفز من الغيظ فقالت في قرارة نفسها: -العائلة مصابة بداء الكتمان.

لكنها لم ترفع راية الاستسلام فحاولت أن تسحب منها أي شيء تروي به ظمأ فضولها وعندما وضعت الطعام على المائدة سألتها بعفوية :

-أين أمك ؟من المؤكد أنه طبخها فرائحة طبخ الامهات شهية

كانت تلك الكلمات كالصاعقة المدوية التي أصابت رؤوسهم لكن عادل رد بحزن:

-لقد توفيت، لكن عبير تلميذتها.

كادت دموعها أن تهطل عندما ردت بسيل من كلمات الاعتذار : -آسفة، اعتذر سامحوني لم أكن أعلم.

فنظر إليها عادل مبتسماً ثم قال :

-لاعليك ، هدئي من روعك.
ثم جلس على الكرسي الذي بجانبها ووضع الحساء الساخن في طبقها وأمسكها الملعقة قائلاً: -
تفضلي.

شعرت أن الخجل سيلتهم وجهها ،واللقيمات تؤلم حنجرتها كي تؤنبها على الكلمات التي تفوهت بها من دون أن تكترث أن صورة المرأة المعلقة على الجدار بشريطة سوداء من المحتمل أنها أمهم ،لملامحها البريئة التي شربتها عبير مع حليبها . بعد تناول الطعام بصمت زاد من عذاب نور حملت طبقها إلى المطبخ كي تجد عذراً تستطيع من خلاله أن تقف مع عبير بمفردهما فقالت لها وعينيها تعانقان الأرض خجلاً:

-منذ عدة أشهر أحاول أن أتقرب من عادل وأبدل روحه الحزينة، فعندما رأيته للوهلة الأولى تغيرت ضربات قلبي واعتقدت أن ذلك مجرد إعجاب لكن بعد فترة من صداقتي له تحول إعجابي به إلى حب.

فوقع الطبق من يدي عبير ليتطاير أشلاء جعلت عادل يركض مذعورا عندما اقترب من المطبخ وانقض ليطمئن إن أصابها مكروه وهو يتأكد من سلامتها، فردت وهي تنظر إلى نور وجفونها كادت أن تتمزق :

-لاتقلق، انا بخير فلتخرج لحسام كي لا يمل بمفرده ونور ستعد الشاي.

وما إن انسحب حتى أخرجت هاتفها من جيبها وتبادلت الارقام مع نور ثم قالت والبسمة تملأ وجهها بصوت

ضاحك: - غدا سأتصل بك لنلتقي ونتحدث

.

وفجأة اختفى الحزن من وجهها وعادت روحها تكتسي ثوب السعادة ،وما إن أنهت إعداد الشاي حتى انتهت عبير من غسيل الصحون ،وعندما انتهوا من احتساء الشاي أوصلاها عبير وحسام لمنزلها بطريقهم .
عندما استيقظت الشمس انطلقت عبير إلى المطبخ لتحضير القهوة وانتظار الوقت أن يمر كي تستيقظ نور، لكنها لم تكن على علم أنها تصحى يومياً مع زقزقة العصافير وما إن انتهت عبير من تناول الفطور ،حتى انقضت على هاتفها واتصلت بنور التي عانقت الهاتف من الليلة الماضية ، وبعد أن تبادلتا التحية وعادتها عبير بمقهى لاحتساء القهوة عند الظهيرة ،فسابقتا الريح للموعد المحدد ثم قصت لها كل ماحدث مع أخيها من علاقته بساندي إلى وفاة أمها، وارتباطه بسهر ثم إفلاس أبيها ووفاته وإنهاء سهر علاقتها به ؛مما زاد من تعلق قلبها به وقررت ألا تدع روحه عالقة ببئر الحزن أكثر وأن تمد له روحها المرحة كي تخرجه، فكانت عبير صلة الوصل بينهما فلم يمض يوم إلا ودعت فيه الثنائي لمنزلها، سواء على الغداء أو العشاء أو احتساء الشاي والقهوة وكأنها حبيبة أخيها منذ سنوات إلى أن باتت نور تشعر وكأنها فرد من العائلة وبدأت روحها ووجهها الضاحك ينعشان فؤاده في كل

مرة ينظر فيها إلى العينين العسليتين وأمواج الشوكولا
التي

تتطاير عندما تحرك رأسها يميناً ويساراً، فكانت تتسرب إلى كيانه رويداً رويداً، وعندما عانقت قلبه وروحه مسحت الماضي بشكل تام فأيقن عندها أنها الدواء الذي شفاه من داء عشقه لسهر فأراد قلبه أن يسابق لسانه ويخبرها ،لكن عقله ردعه عن ذلك فخشي أنها لا تعتبره أكثر من مجرد صديق، فلم يجد أمامه سوى عبير فقد باتت وكأنها أكثر من أخت لها من الانسجام والمحبة بينهما، فقال لهل بصوت يرتجف: -أخشى أني قد عشقت مرة أخرى وأنها لا تحبني ،فقلبي لم يعد يحتمل الألم والصدمات.

فضحكت عبير ثم قالت :

-إن الحزن الذي تملكك سابقاً جعلك غير قادر على رؤية حب نور إليك. ثم قصت له الكلام الذي أخبرتها به وهو ينظر لها ولسانه مشلول عن الحركة فاختتمت حديثها قائلة:

-لم أخبرك آنذاك، فقد كنت على يقين أنك لن تصدقني وكنت ستنهي صداقتك بها فتركت ذلك للأيام ، فأنت ونور أحببتما أرواحكما وهذا العشق الذي سيدوم للأبد.

أوشك أن يقفز وهو يقول:

-تحبني وأحبها ،تحبني وأحبها.

ثم كاد أن يكسر أضلاع عبير من العناق فودعها كي يذهب فوراً ويعترف لنور فلم يقو على الانتظار يوماً آخر فاتصل

بها وحثها على لقاءه بالحديقة التي شهدت بدايات عشق حسام وعبير وبدون اي مقدمة ومع بالون ووردة حمراء قال لها : - أنا أحبك. وبما أن تلك الكلمة باتت وكأنها حلم لها ، قفزت بمكانها كالأرنبة ضاحكة ثم عانقته قائلة:

-وأنا وأنا وأنااا أحبك أحبك أحبك

ومن تلك اللحظة لم تفارق البسمة وجهه، ولم ينتظر سوى يومين حتى انطلق كسيارة سباق لمنزل عائلتها لخطبتها، وبعد ثلاث أشهر من الخطوبة ،تم زفافهما بليلة شاركتهم العصافير بالسعادة من الصباح الباكر ،وأشرقت الزهور بأبهى الألوان في الحدائق ،ولكن هذا الزفاف حضره أميرة صغيرة أضاءت المكان بنور وجهها وأبويها يحتضناها والسعادة تغرق أرواحهم، ليصبح يحيى وميرا من أروع ثنائيات العشاق إلى جانب حسام وعبير مع أميرهم الصغير الذي أوشك على رؤية الحياة . رسموا جميعهم أجمل لوحة للعائلة السعيدة التي تعيش على الحب والاحترام والتفاهم حتى بمشاكلهم ؛ أما سهر فقد أيقنت أن كل قرار كانت تأخذه أسوأ من سابقه فقررت ألا تأخذ أي قرار وتربط حياتها بشخص آخر بل اكتفت بعملها في التدريس من الصباح الباكر إلى الدروس الخصوصية في المساء، لتعود إلى

المنزل منهكة غير قادرة على الوقوف فتتناول العشاء مع والديها وتنام لتعيد يومها السابق.

نهاية الرواية